اتجاهات الخطاب الدينى نحو شرعية ثورة ٢٥ يناير

دراسة تحليلية مقارنة بين أبرز الخطابات السلفية المعاصرة

د. محمود حمدى عبد القوى

مدرس بقسم الإعلام (كلية الآداب - جامعة المنيا)

تمهيد

استهل الوطن العربى عام ٢٠١١ م بحركات شعبية قوية تهدف إلى تغيير جذرى فى أوضاع عدد من الأقطار العربية. وقد بدأت الشرارة الأولى من تونس، وتصاعدت بوتيرة سريعة إلى الحد الذى مكنها من الإطاحة برأس النظام ونخبته فى أيام قليلة، وكانت الرسالة واضحة: أن الحكم البوليسى والعنف المفرط غير قادرين على التصدى لثورة شعبية، ولذلك سرعان ما انتقلت الشرارة إلى مصر التى كانت تموج أصلا بإرهاصات الثورة، وهكذا تفجرت مظاهرات التغيير واستطاعت فى اسبوعين وأيام قليلة أن تطيح بدورها برأس النظام ومعاونيه الأساسين ، ثم انتقلت الشرارة إلى اليمن وليبيا وسوريا [١] وهو ما أطلق عليه البعض مفهوم "الربيع العربى" وهى موجة تغيير تباينت حالاتها وتداعياتها من دولة عربية إلى أخرى[٢].

لقد أصبحنا نعيش هذه الأيام على وقع مرحلة جديدة فى الوطن العربى الذى تجتاحه موجة ثورات شعبية من غربه إلى شرقه ، وتحمل هذه الثورات مطالبا متعددة بدءا بالحرية والحقوق الاجتماعية والاقتصادية وصولا إلى الإصلاحات السياسية، وقد كسرت هذه الثورات حاجز الخوف ورسخت ثقافة سياسية جديدة، وأسقطت نظم لم يكن أشد المتفائلين يتوقع لوقت قريب أن تقدم أدنى تنازلات لصالح شعوبها.

ومنذ أن اندلعت ثورات "الربيع العربى"، وقد انشغل الخطاب الدينى بقضية أساسية وهى قضية "شرعية الخروج على الحاكم"، وقد برز على الساحة الفكرية تياران أساسيان فيما يتعلق بالنظر إلى هذه القضية: الأول وهو ما يعرف بـ " السلفية الجامية"[٣] أو "السلفية المدخلية"[٤] ، والذى يرى بعدم شرعية الخروج على الحاكم إلا بشروط بالغة التقييد لهذه المسألة، والثانى وهو ما يعرف بـ "السلفية السرورية"[٥] الذى وسع فى دائرة الإباحة الخاصة بالخروج على الحاكم المسلم.

وقد طرح كل من التيارين الأدلة الشرعية التى تدعم وجهة نظره، وقد لاحظ الباحث وجود حالة من الاستقطاب الشديد لكل من الطرفين سرعان ما انقلبت إلى معركة فكرية بين أنصار كلا الفريقين، اعتمد فيها كل طرف على بعض الأدلة الفقهية التى تدعم وجهة نظره من ناحية، وبعض آليات المراوغة للرد على أطروحات الطرف الآخر من ناحية أخرى، كما أنها افتقرت إلى آداب الحوار فى الإسلام، حيث تم تبادل التنابز بالألقاب بين الفريقين، حيث وصف الفريق المدخلى الفريق السرورى بـ "الخوارج الجدد"، ووصف أنصار الفريق الثانى " السلفية السرورية" الفريق الأول بـ " عُباد الطواغيت".

وإذا كان البعض يعرف الخطاب على أنه "بناء فكرى يحمل وجهة نظر، تتم صياغته فى بناء استدلالى، أى بشكل مقدمات ونتائج بين مخاطب ومخاطَب، ضمن عملية التواصل والاتصال"[٦]، فإن الدراسة الحالية تسعى إلى رصد أبرز ملامح كل خطاب عبر موقع "YouTube" على شبكة الإنترنت، وآليات المراوغة فى كل منهما فى تفاعله مع الخطاب الآخر.

أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال عدد من العوامل والتى تتمثل فيما يلى:

١- يزيد من أهمية دراسة قضية "الخروج على الحكام" أو ما يعرف فى الأدبيات الحديثة بمصطلح "الثورة" كطريق لتغيير المجتمعات، وكسبيل لرفع الظلم عن المحكومين، أن هذه القضية تتعرض لهجمات شرسة، وللإدانة والرفض من بعض أنصار التيار السلفى، الأمر الذى شكك الجماهير العريضة فى مدى مشروعية الثورة، وهل هى حلال أم حرام، لذلك كان لابد من دراسة الخطابات الدينية السلفية الى تناولت تلك القضية ، ورؤية كل فريق وأسانيده المتعلقة بمشروعية "الثورة" من عدمها.

٢- ومن ناحية أخرى فإن الصعود السياسى اللافت للتيارات السلفية فى مصر والذى طرح تساؤلات حول طبيعة الأفكار الحاكمة لهذه التيارات وخريطتها الفكرية على ما بينها من تباينات، أصبح محور اهتمام عديد من الباحثين[٧] للتعرف على رؤية هذه التيارات للعمل السياسى والذى تعد المظاهرات والاعتصامات والثورات من أهم خصائصه، وبالتالى فإن التعرف على رؤية هذه التيارات للعمل السياسى وطبيعة التطورات التى تطرأ على أفكارهم والاختلافات السائدة بينهم ــ خاصة بعد انخراط بعضهم فى العمل السياسى ــ يعد مطلبا للعديد من الباحثين، وهو ما تسعى هذه الدراسة للوقوف على بعض ملامحه.

٣- تحتلّ مسألة الخطاب الدينى ركنا أساسيا فى سياق الحديث عن دور الأديان فى تطوير المجتمعات. إذ إنّ للخطاب الدينى تأثيرا بالغا فى توجيه وتشكيل فكر الناس ووجدانهم وسلوكهم فى مجتمعاتنا العربية، وخصوصا تلك التى يشكّل الدين فيها مكوّنا بارزا من مكوّنات الهوية الفردية والجماعية. والخطاب الدينى هو شكل من أشكال الاتصال مع الناس فى ظلّ مجتمعات عربية تُعتبر فى غالبيتها متدينة. وليس غريبا أن يكون الحديث عن الخطاب الدينى ذا أهمّية فائقة فى وقتنا الراهن، وخاصّة أنّه يقوم أيضا بصقل ثقافة الناس الدينية، وبالتالى القيم والمباد ?والسلوكيات الاجتماعية.

٤- كما أن الدراسة وظفت آليات وأطر نظرية لم تستخدم بشكل كاف فى الدراسات الإعلامية مقارنة بالدراسات السياسية واللغوية والفلسفية، وكذلك مقارنة بالدراسات الأجنبية، وتمثلت هذه الأطر فى "نظرية الحجاج" (Argumentation Theory)و"آليات المراوغة"، وهو ما يساهم فى إثراء الدراسات الإعلامية خاصة ما يتعلق منها بتحليل الخطاب الإعلامى، حيث إن الحجاج من الموضوعات التى لم تنل اهتماما كبيرا فى الدراسات الإعلامية، مع أنه يتشعب إلى كافة مناحى الحياة، ويمكن للناس كافة باختلاف مواقعهم فى المجتمع ممارسته، الأمر الذى يثرى الدراسات الإعلامية بنظريات وآليات جديدة فى تحليل الخطاب خاصة ما يتعلق بالتحليل الكيفى للخطاب.

مفاهيم الدراسة

نظرا لأن "الثورة" كمفهوم لم يكن حاضرا تاريخيا فى الفكر الإسلامى ــ وذلك بمعناه الإصطلاحى المتداول فى العلوم الاجتماعية والسياسية المعاصرة ــ فقد رأى الباحث أن يؤصل لهذا المفهوم، وما يقاربه من مفاهيم فى الفكر الإسلامى، وخاصة مفهوم "الخروج على الحكام" حيث تباينت رؤية الخطابات السلفية المعاصرة لـ"الثورة" ، فهناك من يرى أن "الثورة" و"الخروج على الحكام" كمفهومَين سواء، وأنها فتنة ومحرمة شرعا، وهناك من يرى أن الثورة لها شكل سلمى وآخر مسلح، وأن الثورات السلمية أمر مختلف عن "الخروج" ، ولا تنطبق عليه أحاديث النهى عن الخروج، بل هى مظهر من مظاهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونظرا لتباين المدارس السلفية فى التعامل مع المفاهيم المستحدثة، وبناء إطار دلالى لها يناسب مستحدثات العصر، وهناك من يجمد المصطلحات الجديدة فى بوتقة المصطلحات القديمة غير عابئ بأى تطورات جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهناك من يتواءم مع التطورات المستحدثة ويحاول أن يطور من مفاهيمه ليتماشى مع الاتجاهات والتطورات الحديثة برؤية وفكر إسلامى جديد، لا يخالف الأصول، ولا يخاصم الواقع، وإنما يكون منفتحا عليه قابلا لاستيعابه، فقد رأى الباحث أن يؤصل لمفهوم "الثورة"، والمصطلحات الموازية له أو القريبة منه فى الفكر الإسلامى.

ويجب أن نؤكد بداية على أن ثمة فرقا بين المفهوم اللغوى لـ

"الثورة" والمفهوم الاصطلاحى المعاصر لها، لأن المفهوم اللغوى هو - بلا شك - مفهوم أصيل فى لغتنا العربية، وقد ورد فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية، كما تم تداوله فى تراثنا الإسلامى، لكن مفهوم "الثورة" فى العصر الحديث، كما هو ثابت فى العلوم الاجتماعية والسياسية المعاصرة، هو أمر لم يُعرَف فى تراثنا الفكرى والسياسى، ونظرا للصلة الوثيقة بين مفهوم الثورة -كمفهوم حديث -ومفهوم "الخروج على الحكام" كمفهوم مرتبط بالفكر والثقافة الإسلامية، فقد رأى الباحث ضرورة العرض لمفهوم الثورة فى الفكر المعاصر، ثم التأصيل لها من المنظور الإسلامى من الناحية اللغوية، ثم اختتم بتناول مفهوم الخروج، وعرض وجهات النظر المختلفة فى الفكر الإسلامى للخروج على الحكام والأدلة الشرعية لكل منها، ومدى الإقتراب بين مفهوم "الثورة" بمعناه الإصطلاحى المعاصر ومفهوم "الخروج" بمعناه التاريخى وذلك على النحو التالى:

أولا: مفهوم الثورة

إن ضبط مفهوم للثورة أمر صعب جدا ، بسبب تنوع الفهم للمصطلح وتنوع اقترابات المفكرين منه ، كل حسب إيديولوجيته وحسب اختصاصه، وسنسعى فى هذا الإتجاه إلى عرض أغلب وجهات النظر.

١- المعنى اللغوى للثورة

يستخدم المصطلح اللاتينى "Revolution" للدلالة على الثورة، وهو تعبير فلكى الأصل شاع استعماله بعد أن أطلقه العالم البولندى "كوبر نيكوس" على الحركة الدائرة المنتظمة للنجوم حول الشمس والتى لا تخضع لسيطرة الإنسان، وبالتالى تضمن المصطلح معنى الحتمية(٨).

ولعل استخدام المصطلح فى المجال الساسى والاجتماعى، أكسبه معانى جديدة، تفد التطور والنمو متضمنا الحركة والنشاط "Evolution" وإضافة "Re" إلى "Evolution""جعلها تشر إلى تجدد النمو والتطور والنشاط والحركة، وهذا يعنى أن المصطلح صار يشر إلى حالة تحدث ضد السكون وتوقف الحركة والتطور(٩).

وعند البحث عن المعنى اللغوى لكلمة ثورة فى »لسان العرب« لابن منظور(١٠)، نجد أن كلمة ثورة جاءت من الفعل ثور، ثار، ثورة ، وهى تعنى فى الأصل الهجان، أو اشتداد الغضب والاندفاع العنف: ثار أى هاج، ثارت أعصابة أى فقد السطرة على أفعاله، والثائر هو الغضبان ، والثور السيد وبه كُنى عمرو بن معد يكرب "أبا ثور" وقول على رضى الله عنه "إنما أكلت يوم أُكل الثور الأبيض" عنى به عثمان لأنه كان سيدا وجعله أبيضا لأنه كان أشيبا.

وذكر بن منظور أنه ورد فى الحديث : رأيت الماء يثور من بين أصابعه، أى ينبع بقوة وشدة، وفى حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم "أثيروا القرآن ،فإن فيه خبر الأولين والآخرين" وحديث "من أراد العلم فليثور القرآن" وتثويره قراءته ومناقشة العلماء به فى تفسيره ومعانيه(١١).

والخيل إذا اقتحمت ميدان القتال (أثرن به نقعا) «العاديات»:4 أى هيجن التراب فصنعن به سحبا من الغبار، وأرض مثارة، إذا أثيرت بالسن، وهى الحديدة التى تحرث بها الأرض، أى قلبها على الحب بعدما فتحت أول مرة، ويقول الله تعالى (لا ذلول تثير الأرض) «البقرة:71» أى لا تقلبها بالحرث القلب الذى يغيرها فيجعل عاليها سافلها، وقال عز وجل وأثاروا الأرض«الروم:9» أى حرثوها وزرعوها واستخرجوا بركاتها.

وبهذا يكون معنى الثورة فى اللغة العربية أشبه ما يكون بحرث الأرض وزراعتها وجنى الثمار، كأنها ثلاث مراحل متتالية متكاملة، وفيها تكون المرحلة الأولى: هى حرث الأرض وقلبها وجعل باطنها عاليها وكأنها هدم الوضع القديم مع ما فيه من ضجيج وإثارة الغبار، وفيها تكون صفات الثورة العنيفة أوضح وأسطع ما تكون، وتأتى المرحلة الثانية: وهى الزرع من تسوية الأرض وتخطيطها ووضع البذور فيها وسقايتها حتى تنمو، وكأنها مرحلة التخطيط والعمل لبناء النظام الجديد، وتأتى المرحلة الثالثة وهى الحصاد وفيها نجنى ثمرة الجهد المبذول، أى العهد الجديد بحصاده وثماره.

ومصطلح "الثورة"، وإن كان قد عرف واستعمل فى تراثنا العربى، الدينى منه والسياسى، إلا أنه لم ينفرد وحده بالدلالة على تلك المعانى الخاصة به، والتى استقرت لهذا المصطلح فى أدبنا السياسى الحديث، فلقد شاركته فى الدلالة على هذه المعانى أو بعضها مصطلحات أخرى، كان بعضها أكثر منه شيوعا على امتداد تاريخنا الإسلامى؛ فقد استخدم العرب مصطلح "الفتنة" للدلالة على الاختلاف والصراع حول الآراء والأفكار وقيام الأحزاب والتيارات الفكرية المتصارعة، كما استخدموا مصطلح "الملحمة" للدلالة على بعض معانى الثورة، فدل عندهم على التلاحم فى الصراع والقتال حتى جعلوا من

أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم "نبى الملحمة" حيث مارس التغيير بالوسيلتين معا: القتال والإصلاح العميق. كما استخدموا مصطلح "الخروج" للدلالة على معنى الثورة، وغلب على الأدب السياسى لكثير من فرق المسلمين ومدارسهم الفكرية ،حتى اشتق منه اسم "الخوارج" لثورتهم المستمرة[١٢].

٢- المعنى الاصطلاحى للثورة

للثورة تعريف تقليدى قديم وضع مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة الفرنسية وهو قيام الشعب بقيادة نخب وطلائع من مثقفيه لتغيير نظام الحكم بالقوة. وقد طور الماركسيون هذا المفهوم بتعريفهم للنخب والطلائع المثقفة بطبقة قيادات العمال التى أسموهم "البروليتاريا"[١٣]، وعرف "مايكل روسكن" Mi-chael G. Roskinالثورة بأنها "عملية تغيير جذرى للنظام السياسى، بما يؤدى للإطاحة بالنظام القديم والنخبة التابعة له"[١٤].

وقد ورد فى الموسوعة العربية للسياسة أن الثورة هى "أسلوب من أساليب التغيير الاجتماعى تشمل الأوضاع والبنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وعملية التغيير لا تتبع الوسائل المعتمدة فى النظام الدستورى للدولة وتكون جذرية وشاملة وسريعة، بحيث تؤدى إلى انهيار النظام القائم وصعود نظام جديد"[١٥].

وتفرّق الموسوعة بين الثورة، وبين الانقلاب، على أساس أن الثورة تهدف إلى إحداث تغييرات جوهرية فى النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى. بينما يهدف الانقلاب إلى إعادة توزيع السلطة السياسية بين هيئات الحكم المختلفة أو الأشخاص القائمين به.

وتعرف موسوعة علم الاجتماع الثورة بأنها:"التغييرات الجذرية فى البنى المؤسسية للمجتمع ، تلك التغييرات التى تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وإيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، كما قد تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية[١٦].

ويرى "بيتر أمان" أن الثورة هى "انكسار مؤقت أو طويل الأمد لاحتكار الدولة للسلطة يكون مصحوبا بانخفاض الطاعة "[١٧].

ويرى البعض أن الثورة هى "أحد طرق انهيار النظم السياسية القائمة"[١٨]، وتعرف ناهد عز الدن الثورة، على أنها مقدمة لعملة تغر جذرية شاملة، تستتبع إعادة صاغة كاملة لكل العلاقات والتوازنات التى سادت بن فئات المجتمع وطبقاته وشرائحه، بما سفر عن صعود جماعات، وهبوط أخرى، وإعادة رسم الخرائط المجتمعة، وتصحح الاختلالات لمصلحة البعض، الذن قامت الثورة من أجل إنصافهم واسترداد حقوقهم، أو حتى فرز خرطة ومساحات جددة تماما لانتشار القوة الساسة، وإعادة التوزع لمصادرها وركائزها على نحو مختلف[١٩].

وتتفق التعريفات السابقة فى معظمها على أن الثورة هى ردود أفعال الأفراد على الأحوال غير المرضية فى حياتهم الاجتماعية ، ولكن بعد أن تنتظم فى عمليات السلوك الجمعى. وهى تغيير مفاجئ سريع، ذو أثر كبير على الكيان الاجتماعى. ويحطم استمرارية الأحوال الراهنة فيه، وهى تبتغى إعادة بناء وتنظيم النظام الاجتماعى كله تنظيما وبناءً جديدا. وهى بذلك عمل قصدى يهدف إلى إحداث تحطم فى الكيان والتنظيم الاجتماعى الراهن.

أى أن الثورة هى تغيير فجائى وكلى يتم خارج إطار نظام قانونى لا تتوافر له الشرعية، وهى بهذا تختلف عن الإصلاح الذى هو التغيير من خلال نظام قانونى تتوافر فيه امكانيه التغيير، فهو تغيير تدريجى جزئى سلمى يتم من خلال نظام قانونى تتوافر له الشرعية[٢٠].

ثانيا: المداخل المفسرة للثورة

تتعدد المداخل النظرية المفسرة لظاهرة الثورة وتتنوع، فكل مدخل أو نظرية اقتربت من الثورة من خلال زاوية معينة. ومن أسباب الاختلاف التفسيرى التباين الإيديولوجى واختلاف التخصص العلمى، حيث توجد مداخل فرعية ومداخل رئيسية لدراسة الثورات. وترى البنائية الوظيفية أن النسق الاجتماعى سيواجه صعوبات حين لا تستطيع القيم القائمة تفسير التغييرات فى الجوانب البيئية المحيطة ، الأمر الذى يتطلب احتياج البيئة المحيطة إلى قيم جديدة تكون لديها القدرة التفسيرية، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التطور أو الثورة[٢١].

ويؤكد المدخل النفسى على أن العوامل النفسية التى تدفع بالشخص لكى يشارك فى الحركات الثورية، ويتزعم هذا المدخل جوستاف لوبون الذى يعرف الثورة على أنها "مجموعة من التحولات الفجائية فى المعتقدات والأفكار والمذاهب"، ويرى جوستاف أن المشاعر والعواطف هى دعائم المعتقدات السياسية والرئيسية[٢٢].

بينما تنطلق المادية التاريخية من التفسير المادى للتاريخ،

وترى بأن التناقض هو سبب التطور، وتطبيق هذا المذهب يؤدى إلى تفسير سير التاريخ بالتناقض بين مكونات الجانب المادى للمجتمع ، وترى هذه النظرية أن الصراع بين المصالح المختلفة، والمتعارضة أحيانا داخل النسق السسيولوجى ضرورة لازمة للتغيير الاجتماعى. ويرى ماركس أن الصراع الطبقى هو الموضوع الرئيسى للتاريخ ولا يمكن أن ينتهى إلا بالثورة. وأكد ماركس على الطابع الحتمى للثورات التى تحدث نتيجة ضرورات اقتصادية، حيث إن علاقات الإنتاج والتوزيع تؤدى إلى سلسلة من الثورات تنتهى بثورة البروليتاريا[٢٣]. وفى نفس الاتجاه نجد لينين ومن بعده دعاة نظرية التخلف، يؤكدون على أن التخلف عامل حاسم للتغيير وبالتالى تصبح الثورة حتمية، حيث إن القهر والسخط الملتهب يمكن أن يخلقا جوا ثوريا[٢٤].

ويرى دعاة المذهب الفوضوى أمثال كل من "برودون" و"كروبوتكين"، أن الثورات تحاول تحقيق العدالة بواسطة القوة، ولكن الذى يحدث فعليا هو أن يحل استبداد محل آخر، ومع ذلك فان كل ثورة مهما تفككت وأصابها الإفلاس تدخل على المجتمع قدرا معينا من العدالة ومن شأن هذه الانجازات الجزئية أن تفضى فى النهاية إلى انتصار العدالة[٢٥].

ويرى البعض أنه من خلال استقراء تاريخ بعض الثورات القديمة والمعاصرة، يتضح أن أهم الشروط الضامنة لنجاح الثورات هى صلابة الإرادة والتصميم لدى الثوار، والحفاظ على الصورة الناصعة للثورة، ووحدة الصف والتلاحم بن القوى الشعبية[٢٦].

ثالثا: الثورة من المنظور الدينى

تباينت الرؤى فيما يتعلق بالثورة أو قضية الخروج على الحكام فى الفكر الإسلامى، فهناك من يؤكد على شرعية الثورة فى الإسلام، ويرى أن الإسلام نفسه كان ثورة على الشرك والضلال الذى كان منتشرا فى عصر النبوة، وهناك من يتخذ من الثورة موقفا عدائيا كسبيل لتغيير الحياة وتبديل النظم وتطور المجتمعات، وهو موقف يكرس "الواقع" ويمنحه "الشرعية" و"البركة" ،وإن كان لابد من التغيير فليكن "إصلاحا" لا يصل إلى حد "الثورة" ولا يبلغ الجذور والأعماق فى عملية التغيير.

ومن ناحية أخرى هناك فريق آخر يقبل الثورة فقط "عندما تحدث" باعتبارها "واقعة" قد حدثت و"نازلة" يسأل بها المؤمنون الذين امتحنوا ولهم أجر الصبر على معايشتها والعيش فى فى كنفها. وفى أحسن الأحوال ينظرون إليها "كمحظور و محرم "تبيحه "الضرورة "و الضرورات تبيح المحذورات.

ويتفق الفريقان الأخيران على أن الصلات غير قائمة أصلا بين الإسلام- كفكر خالص و كفكر وضع فى التطبيق بمجتمع عصر النبوة وصدر الإسلام -وبين "الثورة" كطريق إنسانى لتغيير المجتمعات والانتقال بها إلى درجات جديدة فى سلم التطور[٢٧].

وقد ميز البعض بين ثلاث توجهات فكرية عامة فى الفكر الإسلامى فيما يتعلق بمشروعية الثورة، وذلك على النحو التالى[٢٨]:

١- التوجه الفكرى الأول: مشروعية الثورة

استند أصحاب هذا التوجه فى تأكيدهم على مشروعية "الثورة" على أن القرآن قد "أوجب" على الأمة ،متضامنة متكافلة ،الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا اقتضى النهوض بهذا التكليف استخدام "الفعل" بعد "القول" و"الاستعانة بالقوة" التى اصطلحوا تسميتها بـ "قضية السيف" كان ذلك "مشروعا" لدى البعض و"واجبا" لدى البعض الآخر، وهم فى ذلك يستندون إلى قوله سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران الآية 104 ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله فى نفس السورة الآية 110كنتم خير أمة أخرجت للناس ،تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقالوا إذا كان الأمر بالمعروف يقف عند حدود الهدى والبيان ،فإن النهى عن المنكر يتجاوز ذلك إلى الفعل، واستندوا فى ذلك إلى عديد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم منها "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن حنبل، والفعل هنا يسبق غيره من وسائل التغيير. مثل قوله محذرا الأمة من النكوص عن هذا الطريق الصعب قوله "لتأمرن بالمعروف ،ولتنهون عن المنكر ،ولتأخذن على يد الظالم ،ولتأطرنه على الحق أطرا (أى تدخلونه فى الحق وتجبرونه عليه) ،أو ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ،ثم تدعون فلا يستجاب لكم" رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وابن حنبل ،وقوله "إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده" رواه الترمذى فى سننه.

وينتمى إلى هذا التوجه الفكرى الخوارج ،وتيار من المرجئة.

والمعتزلة ثم الزيدية والعلويين وبعض من فرق الشيعة الإمامية مثل الإسماعيلية وكذلك الكيسانية، وقد أجمعت كلها فكرا وعملا على ضرورة اللجوء للثورة والعنف الثورى -السيف- كسبيل لإزالة الجور والظلم والفساد، ولم يشذ عن هذا إلا أحد تيارات المرجئة الذين ناصروا الأمويين و كذلك شيعة جعفر الصادق الذين علقوا السماح باستخدام السيف على ظهور إمامهم المنتظر الذى سيخرج ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا.

٢- التوجه الفكرى الثانى: الهجرة

فى التراث الإسلامى الكثير من الآيات التى تدعو الإنسان لرفض الظلم والعمل على تغييره. فالثورة تعنى "الهجرة" من حالة الاستسلام والسكون إلى حالة التمرد والحركة. وهو معنى فيه هجران للركود والموت ووثبة يتجاوز بها الإنسان والمجتمع هذا الوضع الجائر ليستبدله بآخر أكثر إشراقا ووضاءة. فليست الهجرة فرارا وهروبا، فهى حينها فعل إيجابى ووسيلة تأديب، والذين لا يهجرون المجتمع الظالم هم ظالمون لأنفسهم، وهو أشد أنواع الظلم لأنهم حينها يظلمون أنفسهم والأمة ومصالحها بل والقيم التى دعا إليها الله، وبشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى فى سورة النساء الآية٩٧(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)ذلك أنهم كانوا "مستضعفين فى الأرض" لا يعفيهم من مسؤولية التكليف بواجب التغيير للظلم. لأن منطقهم الاستسلامى هذا يعاكس إرادة الله فى الأرض فى آية جمعت من المعانى والطاقات الثورية ما لم تجمعه شعارات كثيرة. وكذلك قال تعالى فى سورة القصص٥-٦(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5 وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ فإن إرادة الله أن تكون القيادة والإمامة للمستضعفين فى الأرض وأن تكون لهم وراثة ما فى حوزة أوطانهم من ثروات وعلوم وإمكانيات.

٣- التوجه الفكرى الثالث: طاعة ولى الأمر المطلقة

ينتمى إلى هذا التيار بعض أهل السنة، وكذلك نفر من التيار الأشعرى وقطاع كبير من "المرجئة" الذين ناهضوا الثورة ونهوا عن استخدامها فى النهى عن المنكر والتغيير، حيث قال المرجئة بتحريم الخروج على الحاكم الكافر والجائر، ويترتب على مذهبهم إنكار التغيير بأنماطه المختلفة (الإصلاح والثورة)، لأن هذه الفرقة ترجىء عقاب العصاة إلى يوم القيامة. وتقول: "لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة" أى أن المؤمن يظل مؤمنا مهما ارتكب من المعاصى، كما يظل الكافر كافرا مهما قام بأعمال صالحة. كما يتفق مع هذا التوجه أيضا الشيعة الإمامية الذين قالوا بعدم جواز الإمامة، أو الخروج على السلطان الجائر، أو صلاة الجماعة إلا بعد ظهور المهدى المنتظر، وقد حاول الخومينى تعديل هذا الموقف السلبى (فى المجال السياسى) بقوله بنظرية ولاية الفقيه، وهى نظريه تلقى معارضة من داخل المذهب الشيعى باعتبارها دخيلة عليه.

ولم ينكر هذا الفريق "وجوب" النهى عن المنكر لأنه ثابت فى الكتاب والسنة، ولكنهم حصروا وسائل النهى فى النهى باللسان لا باليد فضلا عن السيف وخاصة إذا ترتب على ذلك تضحيات.

الدراسات السابقة:

قام الباحث باستطلاع الدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة الحالية، والتى تتعلق بالحجاج فى الخطاب الدينى، وكذلك بعض الدراسات التى وظفت الحجاج فى مجالات معرفية أخرى خاصة فى المجال السياسى، وقد لاحظ الباحث أن هناك ندرة فى مثل هذه الدراسات خاصة التى تتعرض للخطاب الدينى، وكان من أهم هذه الدراسات ما يلى:

دراسة هشام فروم عن "تجليات الحجاج فى الخطاب النبوى: دراسة فى وسائل الإقناع"[٢٩]، حيث استخدم الباحث نظرية الحجاج "Argumentation Theory" باعتبارها آلية حوارية تداولية بمنحاها البراجماتى العلمى الإيجابى الفعال فى خدمة النصوص بأبعادها المختلفة، وأحوالها المتعددة، ومستوياتها الكثيرة. وقد اختار الباحث الحديث النبوى الشريف باعتباره من أعرق النصوص العربية وأقدسها، وأفصحها بعد القرآن الكريم، كما أنه أقرب للاحتجاج عند اللغويين والنحاة، وقد توصل الباحث إلى التأكيد على الطابع التداولى للأربعين النووية، حيث إنها تقترب من الحياة اليومية الجارية للمسلمين، وتعالج أهم القضايا الدينية والدنيوية الخاصة بهم بأسلوب واضح وبسيط، يجمع بين المغايرة فى الأسلوب الإنشائى والخبرى، حرصا على إقناع المتلقين وتقرير الأفكار فى

نفوسهم، كما استعان الرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق الإقناع بثراء الأفعال وتنوعها، وقد ساعد الحضور المكثف للأفعال فى الأربعين النووية على الحركية والحيوية من الماضى إلى الحاضر والمستقبل، لأن الفعل لا يعرف الثبات والاستقرار، وقد ساهم التنوع فى الأفعال فى خلق طاقة حجاجية تدفع إلى إثارة المشاعر، وشحنها، كما أنها توجه إلى غاية واحدة هى الإقناع أو الحمل على الإذعان.

ونظرا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتوجه إلى مخاطب مميز ومتنوع المشارب، كان لا يكفى الاعتماد على وسائل الإقناع اللغوية والبلاغية، بل استخدام الأقيسة المنطقية بمختلف أنواعها، لأنها وسيلة ناجحة لتحقيق الفائدة الإقناعية، كونها توحى بنوع من الإطمئنان فى النتائج لسلوكها طريقة منطقية فى التقديم والاستنتاج. وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة فى توظيف بعض وسائل الإقناع اللغوية التى اعتمد عليها الخطاب الدينى فى حجاجه عن شرعية الثورة، فهناك أدوات وروابط وعبارات لغوية يتمثل دورها الوحيد أو الأساسى فى القيام بالعمليات الحجاجية.

وفى دراسة أخرى حاول عبد الرّحمن الحوت[٣٠] اختبار نظرية الحجاج، على القرآن الكريم، سعيا إلى التماس أصول الحجاج فى هذا الخطاب الإلهى، وتبين أساليبه اللغوية وغاياته الفكرية والعقدية، وتوصل إلى أن لغة القرآن تحمل فى مفرداتها وتراكيبها كثيرا من الروابط والعوامل الحجاجية التى تمنح نظرية الحجاج فى القرآن طابعا لغويا خاصّا وفريدا، إضافةً إلى ما اختص به الخطابُ القرآنى من أسباب للنّزول، وتناسب بين الآيات والسّور، ونحو ذلك ممّا يمكن أن يصبّ فى صَوغ المعالم الأسلوبيّة للحجاج فى القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بالغايات الفكريّة والعَقديّة، توصلت الدراسة إلى أن الحجاجَ فى القرآن الكريم مُنطو ضمنا أو صراحةً على جملة من المبادئ الحجاجيّة، تشكّل بمجموعها أصولَ العقيدة الإسلاميّة والقضايا التى دعا إليها القرآنُ الكريم لتكون قاسما فكريا مشتركا بين الناس، يُبصّرهم طرقَ الإصلاح والهداية، فى منهج رفيق خال من شائبة العنف والإكراه .

وقد أفادَ الباحث من إيجابيات نظرية الحجاج فى مدلولها الغربى، ومازَجَها بدلالات الحجاج فى القرآن الكريم، بما يُظهر فرادةَ البيان القرآنى فى هذا المجال: كتشخيص أنواع المخاطب والمخاطَب، وإظهار صفات كلٍّ على حدة، كما سعى الباحث إلى التفريق بين البرهنة فى المنطق الصّورى وبين الحجاج فى المنطق القرآنى من حيثُ غاية كلّ منهما، إذ كانت غايةُ الأول منصبّةً على الإلزام والإفحام ليسَ غير، أمّا غايةُ الآخر فكانت بقصد الإقناع والحصول على استجابة المتلقى، عريةً عن العنف والإكراه وما أشبَه، وهو ما حاول الباحث أن يفيد منه فى دراسته فى الحجاج الخاص بالخطاب الدينى المتعلق بشرعية الثورة فى هذه الدراسة.

وفى دراسة أميمة عبود[٣١] عن مفهوم الإصلاح السياسى وقضاياه الرئيسية وعلى رأسها قضية التطور الديمقراطى فى بعض نصوص الخطاب الليبرالى العربى الجديد، انطلقت الباحثة فى قراءتها لبعض نصوص خطاب الليبراليين العرب الجدد من مجموعة من الافتراضات والملاحظات المنهجية، والتى تمثلت فى أن قوة أى خطاب سياسى تتوقف على قدرته على إحداث تواصل ناجح، وهذا لا يتحقق إلا إذا حاز هذا الخطاب على قدر من الإجماع من خلال الإقناع والمحاججة، ومن ثم فاستخدام الخطاب لمفاهيمه هو فعل لغوى عملى يحقق عملا ويحول واقعا، ولهذا الفعل قصدية وسياق. وبالجمع بين كل هذه العناصر نستطيع أن نحكم ما إذا كان استعمال هذا الخطاب لمفاهيمه يحقق نوعا من التواصل أم لا، كما أنه يتأسس فى كل خطاب سياسى معنى معين أوعدة معان لاستخدام المفاهيم خاصة بكل خطاب، وقد يتجه الخطاب فى أثناء فعل الاتصال إلى المعانى المختلطة فى ذهن المتلقى ويحاول تطويعها من أجل تأكيد المعنى المقصود والذى يختلف باختلاف الاستخدام من أجل تحويل المفاهيم الذاتية إلى مفاهيم مشاركة أى تحويل المفهوم كفكرة أو صورة إلى المفهوم كمعنى وإبلاغ، فى إطار سياق له شروطه.

ويتحقق المعنى المقصود للمفهوم فى إطار أى خطاب سياسى من خلال جعل هذا المعنى معبرا عن استجابات مختلفة (كالطلب والأمر والنهى والوعيد والتهديد والتمنى والرجاء..) ومعززا ومؤيدا ببعض النتائج مثل الاستحسان والرضا والتأكيد والنجاح، وهذا يتم من خلال طرح الحجج "arguments" الصادقة لتحقيق نوع من التواصل الحقيقى وليس من خلال الحجج المغلوطة للتضليل والالتباس والتعتيم مما يؤدى إلى نوع من المغالطات.

وتوصلت الدراسة إلى أن خطاب الليبراليين العرب الجدد (أمثال شاكر النابلسى والعفيف الأخضر وكنعان مكية وحازم

صاغية..) ينطلق بشأن مفهوم الإصلاح السياسى من مقولة أن الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى العالم العربى أساسه الإصلاح التربوى والتعليمى. وذلك لن يتم إلا بالطرق التعليمية والتربوية الحديثة بكل ما يعنيه هذا المصطلح. فالحداثة السياسية والاقتصادية والديمقراطية وحقوق الإنسان والقوانين مرتبطة بحداثة التعليم والفكر. وإن الإصلاح السياسى لن يتم إلا بإصلاح التعليم أولا، فالأحرار هم المتعلمون والعبيد هم الجهلة، ومن المدرسة تبدأ الحرية والديمقراطية وليس من باب البرلمانات ومجالس الأمة والشعب. وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة فى التعرف على آليات التحليل الكيفى فى الخطاب وذلك فى الدراسات المعنية بالحجاج بشكل أساسى.

وفى دراسة أمانى مسعود عن:"مبارك ومفهوم حقوق الإنسان: قراءة فى الخطاب السياسى"[٣٢] حاولت الباحثة أن ترصد مدى اهتمام مبارك بقضايا حقوق الإنسان من خلال تحليل خطابات مبارك فى الفترة من 2000 إلى مارس 2008م، وقد استخدمت الباحثة نموذج "تولمن" فى تحليل الحجاج بشأن حقوق الإنسان سواء فى الخطابات الموجهة للداخل أوالخارج، وتوصلت الباحثة إلى أن أهم مقولات الخطاب بشأن حقوق الإنسان فى الخارج مقولة "أن ما تقوم به إسرائيل يعد انتهاكا صارخا لحقوق الإنسان، وهو ما يساهم فى تعميق مشاعر الكراهية العالمية، إذ اعتبرها مبارك قضية دولية ونتيجة طبيعية للممارسات الاسرائيلية"، ورغم القلة النسبية لتناول مبارك لمفهوم حقوق الإنسان، إلا أنه يمكن القول بأن خطاب مبارك عن حقوق الإنسان قد تواصل بنجاح مع المتلقى من خلال عرض مزيد من الحجج ووسائل الإقناع وتعزيز المعنى المراد توصيله ببعض التداعيات والنتائج الملموسة.

ويمكن القول إن مبارك فى تناوله لمفهوم حقوق الإنسان سعى إلى التأكيد على ضرورة أن تتبنى مصر استراتيجيتها التنموية تأسيسا على مفهوم حقوق الإنسان كجزء من منظومة التنمية السياسية، والتأكيد على أن من أهم أولويات استراتيجيته الإصلاحية المستقبلية للدولة المصرية تضمين مفهوم حقوق الإنسان والمرتبطة بمجموعة من القيم المدنية التى لا تنفصل عن مفهوم حقوق الإنسان عالميا كقيمة المشاركة والحرية والديمقراطية من خلال أساليب الرجاء والتمنى، وبعض العبارات مثل: "بكل أمانة"، "إننى على ثقة".

وعلى المستوى الخارجى، ركز خطاب مبارك على مفهوم حقوق الإنسان على أنه مفهوم مفرغ من معناه تستغله كثير من القوى الخارجية لتبرير توجهاتها الخارجية العالمية بشكل عادل، ونجح مبارك فى تطويع هذا المفهوم العالمى للدعاية للقضية الفلسطينية واللبنانية والقضايا العربية الأخرى والتى تتعارض شكلا ومضمونا معه، مثل التدخل السياسى فى شئون الدول الأخرى العسكرى، والهجوم على ثقافة الآخر بدعوى أنها لا تتفق وثقافته.

وباستثناء مغالطة الالتباس فى دور الشرطة فى حماية حقوق الإنسان، خلى خطاب مبارك فيما يتعلق بحقوق الإنسان من مغالطات الاحتمالات والمغالطات ذات الصلة بالموضوع . وأخيرا يمكن القول بأن خطاب مبارك جاء خطابا حجاجيا ناجحا نسبيا فيما يتعلق بحقوق الإنسان. وقد وظفت الدراسة نموذج "تولمن" فى تحليل الحجاج، مما ساهم فى إثراء النتائج، وقد أفاد الباحث من نموذج "تولمن" فى تحليل الحجاج فى خطابات السلفيين بشأن شرعية ثورة 25يناير2011م.

وفى دراسة محمد محسن الظاهرى بعنوان: "حقوق الإنسان فى اليمن دراسة للخطاب الرئاسى بين المنطوق به والمسكوت عنه"[٣٣]، سعت الدراسة إلى بيان وضعية حقوق الإنسان فى اليمن، وموقف الخطاب الرئاسى تجاهها، وتوصلت إلى أن من سمات الخطاب السياسى الرئاسى اليمنى تجاه حقوق الإنسان المزاوجة بين ديمقراطية اللغة وحقوقيتها من جانب، وبين استبدادية الفعل والممارسة من جانب آخر؛ حيث تحضر مفاهيم حقوق الإنسان عبر خطابه الرسمى، ولكنه يسعى إلى إفراغ هذه الحقوق عن مضامينها على مستوى الفعل والحركة. وقد استفاد الباحث من محاولة الدراسة الاقتراب من بعض قواعد التحليل الكيفى للخطاب.

وفى دراسة "Gordon & Hugh"[٣٤] بشأن الحجاج الخاص بالرئيس الأسبق "بوش" لضرب العراق، وما ورد به من مغالطات، قام الباحثان بإجراء تحليل كيفى لخطابات الرئيس الأمريكى للكشف عن حجج ومبررات النظام الأمريكى لضرب العراق بعد أحداث 11سبتمبر، وأهم المغالطات التى وردت بتلك الخطابات والتى من بينها إيواء الرئيس العراقى صدام حسين لأبى مصعب الزرقانى الأردنى والذى ينتمى إلى تنظيم القاعدة وعلاجه فى إحدى المستشفيات العراقية وإعتبار ذلك دليلا على دعم صدام لتنظيم القاعدة، وقد استفاد الباحث من

تحليل الباحثين للمغالطات المنطقية Fallacies التى وردت بتلك الخطابات.

وفى دراسة Sara Greco عن الدور الحجاجى لسياقات الأخبار[٣٥] برهنت الدراسة على كيفية قيام الصحفيين - عند تغطيتهم للأحداث-ببناء سياق معين يختلف من صحيفة إلى أخرى، وكيف تساهم اللغة فى دعم هذا السياق، وهاتان الآليتان تدعمان بناء آلية حجاج فى اتجاه ما عند تغطية الأخبار، وهو ما كشفت عنه الباحثة فى تحليلها لصحف اليمين واليسار الإيطالى فى واقعة Sgrena - Calipari التى مات فيها ضابط المخابرات الإيطالى Calipari عند تحريره للصحفية Sgre-na من أيدى بعض العراقيين احتجاجا على وجود قوات إيطالية فى العراق لدعم القوات الأمريكية، وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة فى تحليل آليات توظيف اللغة لبناء إطار معين يدعم الحجاج الخاص بقضية ما فى اتجاه محدد.

المشكلة البحثية:

فى ضوء الدراسة الاستطلاعية التى قام بها الباحث والتى كشفت عن وجود تباينات فى توجهات الخطابات السلفية المتعلقة بشرعية ثورة 25 يناير، وفى أساليب الحجاج والمراوغة التى وظفتها هذه الخطابات، وفى ضوء المؤشرات التى استخلصها الباحث من الدراسات السابقة الخاصة بالحجاج فى الخطاب الدينى، أو الحجاج فى الخطاب السياسى، تمت صياغة مشكلة الدراسة فى السؤال التالى:

ما رؤية الخطابات السلفية المتداولة عبر موقع "youtube" لشرعية ثورة 25 يناير 2011وما استراتيجيات وآليات الحجاج والمراوغة التى وظفتها هذه الخطابات فى الدفاع عن وجهة نظرها وتفنيد وجهة النظر المعارضة لها؟

الإطار النظرى للدراسة

استعانت الدراسة بنظرية الحجاج "Argumentation Theory" باعتبارها آلية حوارية تداولية وذلك بمنحاها البراجماتى العلمى الإيجابى الفعال؛ فالخطاب الدينى لكى ينجح يجب أن يكون خطابا حجاجيا، وتتوافر فيه الخصائص التداولية، والتى تجعل منه نصا تتفاعل معه العقول والعواطف، والإستعانة بهذه النظرية يساعد فى الكشف عن مدى توافر الطاقات الحجاجية والتداولية فى الخطابات المدروسة وذلك فيما يتعلق برؤيتها لمدى شرعية ثورة 25يناير 2011م.

والحجاج "Argumentation"هو "فن الإقناع". وهو إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطَبِه على تبنى موقف معين عبر اللجوء إلى حجج (Arguments تستهدف إبراز صحة هذا الموقف أو صحة أسسه، فهو عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير عليه ووسيلتها الحجج.

والحجة هى دليل إثبات أو نفى قضية ما. والحجج قسمان: الحجج المنطقية وتسمى الاستدلال "Reasoning" كالاستدلال الاستنتاجى، أو استدلال المماثلة، والحجج الواقعية وتسمى الدليل، كأن تكون واقعة أو شهادة مثلا[٣٦].

والمحاججة تعنى "قدرة الفرد على تفنيد ودحض حجج الطرف الآخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية، والواقعية، وحثه على التخلى عنها، والدفاع فى الوقت نفسه عن آرائه، وتقديم حجج لإقناع الطرف الآخر بها، وذلك حين يتحاجون حول قضية خلافية" [٣٧].

وينطوى هذا التعريف على أن المحاججة تتضمن عمليتين رئيسيتين هما:

التفنيد : Refutation وهى عملية يتم بموجبها إثبات أن صحة حجج الطرف الآخر أو النتيجة المترتبة عليها، أو المستمدة منها، زائفة أوخاطئة، أو ذات قيمة مشكوك فيها.

الإقناع : Persuasion من خلال الاستعانة بمجموعة من الحجج التى يستدل منها الفرد على صحة دعواه.

ويفرق البعض بين الحجاج "Argumentation" والبرهان "Dem-onstration" وذلك على النحو التالى[٣٨]:

- الحجاج شخصى، بينما البرهان غير شخصى.
- الحجاج يمارس فى اللغة الطبيعية، والبرهان فى اللغة الرمزية.
- الحجاج يعطينا الإقناع، بينما البرهان يعطينا الصواب أو الخطأ.
- الحجاج أساسه الرأى، أما البرهان فأساسه الحقيقة.
- الحجاج لا يقبل المعالجة الآلية، أما البرهان فيقبل ذلك .
- الحجاج مجالاته متعددة منها الفلسفة، وهناك أيضا الحجاج القانونى، والحجاج السياسى، والحجاج الإعلامى، أما البرهان فمجاله المنطق.

ولا يصح التعامل مع مواقف منتجى الخطابات من خلال ثنائية: صحيح/خطأ، فكل موقف له قيمة نابعة جزئيا من الحجج التى يستند إليها هذا الموقف، لكن له أيضا حدود.

ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة المحاججة أصبحت تنال

اهتماما علميا ملحوظا فى الحقبة المعاصرة من باحثين فى تخصصات مختلفة، بدءًا من علماء النفس، وانتهاءًا بعلماء البلاغة، ومرورا بعلماء القانون، والسياسة والإعلام، والإدارة، والدين وذلك لأسباب عديدة منها[٣٩]:

١- تمكن المحاججة الفرد من التعبير عن ذاته والدفاع عن وجهة نظره الشخصية، ذلك أن الناس ينخرطون، ولكن بمعدلات متفاوتة، فى حياتهم اليومية فى عمليات محاججة حول قضايا متنوعة تتعلق بحالة المجتمع وشئونه المصيرية، وتمكنهم المحاججة من التعبير عن وجهات نظرهم، وتعديلها، على نحو يجعلها أكثر وضوحا واتساقا، وفهم الأمور بصورة أفضل، مما ييسر عليهم اتخاذ قرارات أكثر دقة حولها، وهى عملية أساسية فى الديموقراطيات المعاصرة التى يعد الدخول فى مناظرات حول تلك الأمور من ملامحها البارزة.

٢- تعد المحاججة وسيلة للتعلم واكتساب المعارف؛ فالفرد من خلال المحاججة يتعلم من الطرف الآخر معلومات جديدة حول جوانب نوعية من القضايا المطروحة، فهو يعرف ـ مثلا ـ المزيد من الاعتراضات على وجهة نظره، والأدلة التى تدعم الوجهة البديلة، ويتعلم كيف يكون حججا جديدة باستخدام المعلومات المتاحة من كل الأطراف الأخرى.

هناك مؤشرات عديدة تشير إلى أن القدرة المرتفعة على المحاججة ترتبط إيجابيا بالصحة النفسية للفرد ورضاه عن ذاته وتبنيه مفهوما إيجابيا لها، وقدرته على التأثير فى الآخرين ومقاومة عمليات فرض الهيمنة عليه من قبلهم.

إن الدخول فى محاججات متنوعة ينمى مهارات المحاججة لدى الفرد، ويجعلها أكثر قوة، وينشط جهاز المناعة الحجاجية لديه حيث يسعى لتفنيد الحجج المضادة، وإنتاج حجج جديدة لإقناع الآخرين بموقفه فضلا عن أنها تعلمه تحمل الاختلاف.

إن عملية المحاججة بما تنطوى عليه من تدريب على المنطق والاستدلال تقوى الروح النقدية بين الناس، وبالتالى تقلل من احتمال أن تضللهم الاستدلالات الزائفة التى يتعرضون لها بلا انقطاع.

الاستراتيجية الحجاجية

ليس من قبيل الصدفة أن ينحت دارسو الحجاج مفهوم "الاستراتيجية الحجاجية" ويستصلحوه أداة لتحليل الحجاج وممارسته، ذلك لأن لغة الحجاج هى لغة قصدية بامتياز، والوظيفة اللغوية فى الخطاب الحجاجى هى وظيفة تأثيرية، فالحجاج، بما أنه فن الإقناع له غاية واضحة ودقيقة يسير نحوها هى الإقناع نفسه، ولتحقيق هذه الغاية لا يتردد فى توظيف كل وسائل الإقناع، وتوزيعها على مراحل متدرجة. إنها مسألة حياة أو موت: إما أن تقنع القارئ أو أن يقنعه خصمك. ومن أهم الاستراتيجيات الحجاجية ما يلى[٤٠]:

١- استراتيجية الإثبات: وتعتمد على تقديم الموقف وتفسيره والحجاج المساند لهذا الموقف، ثم تأكيده فى النهاية.

٢- استراتيجية الدحض: وتعتمد على دحض حجج الخصم بإظهار أنها خاطئة أو ضعيفة، ومواجهة الخصم بحجة مضادة، أو إرجاع حجته ضده، وتوظيف أسلوب (نعم ... ولكن...) والسكوت عن بعض حجج الخصم.

٣- استراتيجية السجال: وهى تعتمد على الاستدلال بالخلف بإظهار السخافات المترتبة عن الموقف المضاد، والإحراج أى وضع موقف الخصم ضمن مفارقة، أى فى وضعية الخيار المستحيل، وكذلك السخرية لإعاقة تبنى موقف الخصم ليسهل تدميره وتحقيره.

وترجع الجذور التاريخية لنظرية "الحجاج" إلى الفلاسفة اليونانيين وعلى رأسهم سقراط وتلميذه أفلاطون ومن بعده أرسطو، فضلا عن بعض الفلاسفة السوفسطائيين مثل "بروتاجوراس" و"هيبياس" الذين قدموا بعض الأساليب الحجاجية الماهرة التى اشتهروا بها، وأصبحت من بين المكونات المحورية فى عمليات الحجاج من بعدهم، من قبيل: الأسئلة السقراطية المؤدية لتوليد المزيد من المعانى وإظهار تناقض الآخر، وطرح مقدمات ومسلمات واستخلاص نتائج تلزم عنها لتفنيد رأى الطرف الآخر، والمغالطات المنطقية التى برع فيها السوفسطائيون حتى أن "هيبياس" كان يفخر بأنه يدافع أمام القضاء فى آن واحد عن عشر قضايا، يجيب عن كل الاعتراضات عليها ثم ينتقل إلى صف الخصوم لقاء أجور أخرى فيدافع عن القضايا العشر المناقضة، ويجيب عن كل الاعتراضات عليها[٤١].

وقد عانى الحجاج حالة من الركود فى السياق الفكرى الغربى على امتداد قرون متتالية فكان اهتمام الباحثين منصرفا خلال هذه الفترة إلى دراسة الجوانب البلاغية والأسلوبية للحجج مستندين فى ذلك على علمى المنطق والبيان مع إهمال واضح للفعالية الحجاجية البرهانية[٤١].

وحين ننتقل إلى الحضارة الإسلامية، سنجد كتابات متنوعة

لفلاسفة وعلماء بارزين إبان فترة ازدهار تلك الحضارة، تُشكل إرهاصات لاهتمامات معاصرة فى مجال المحاججة، فقد قام علماء أصول الفقه المسلمين فى العصور الزاهرة للحضارة الإسلامية بوضع بعض المبادئ والقواعد العامة لعلم الجدل والمناظرة والأساليب الحجاجية الماهرة، فضلا عن الطرق التى اعتمدوا عليها فى تنمية مهارات الجدل والمناظرة لدى تلاميذهم، وليس أدل على ذلك من أن عالما بارزا مثل أبو إسحاق الشيرازى كتب كتابه الشهير بعنوان "المعونة فى الجدل" وكذا الإمام الجوينى الذى أسمى مؤلفه فى هذا المجال "الكافية فى الجدل" وقد شملت تلك الإسهامات ما يلى[٤٣]:

● مهارات المحاججة: حيث اقترح ابن سينا فى هذا المقام عددا من المهارات النوعية للمحاججة منها: تقسيم الدعوى، أو الحجة، إلى عناصر فرعية، والرد على كل منها منفردا، وطلب إما تفصيل المجمل أو توضيح الغامض، ومراجعة المسلمات، إما لاكتشاف التكرار أو التناقض، أو للتأكد من صحتها أو تسلسلها أو تطابق الروايات. ويضيف الشيرازى والدبوسى عنصرا آخرا مثل دحض الحجة، إما بالمطالبة بالدليل والتنازع فى معناه على أى وجه يفهم، أو بالتنازع فى المدى الزمنى لإبراز التعارض، والتمييز بين علة الحكم وحكمته، والمنازعة فى العلة، ودفع الآخر إلى الاستغراق فى النفى، وتقديم التفسيرات ونقل الخلاف إليه.

● آداب وضوابط التحاجى: مثل أن يقصد المحاجج الحق لا مجرد الغلبة، وأن يبتعد عن الخلط والمغالطة، والتقليد أو التعصب، وتجنب مناظرة المعاند، والجاهل، وطلب الغلبة لذاتها.

● الكشف عن أخطاء الاستدلال والقياس أثناء المحاججة: من قبيل قلب القياس بجعل العلة معلولا، واعتماد إثارة انفعالات السامعين بدلا من الاستنباط، وتعظيم الأمر أو تهوينه.

إسهامات علماء الحقبة الحديثة والمعاصرة[٤٤]

شهد الحجاج فى العصر الحديث انبعاثة جديدة من خلال مؤلّفين صدرا فى عام 1958م ،مؤلّف "حاييم برلمان و لوسى تيتكاه " "Lucie Olbrechts-Tyteca & Chaim Perelmanبعنوان (مصنّف فى الحجاج -الخطابة الجديدة)" ومؤلّف "ستيفين تولمن" "Stephen Edelston Toulminبعنوان "استعمالات الحجاج" و قد عُدَّ المصنّفان عمادَ تصور جديد ما لبث وأن تطوّر ليقود الحجاج إلى تصوّر لسانى محض تزعّمه اللغوى الفرنسى "أزفالد ديكرو" (O.DUCROT) الذى وضع نظرية الحجاج فى اللغة (سنة 1973م)، وهى نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التى يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التى مؤادها: "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير".

ومنذ ذلك الوقت وقد تطور الاهتمام بالحجاج فى العصر الحديث وأصبحت هناك مباحث مستقلة بذاتها للحجاج فى الفلسفة وفى اللغة وأصبح الحجاج "مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية ثانية"[٤٥]، فقد عرف عدّة توجهات، حيث هناك نظريات حجاجيّة عديدة بعضها ينتمى إلى البلاغة وبعضها ينتمى إلى المنطق وهناك أيضا من عالجه من منظور لسانى ،وتمثلت أبرز ملامح تلك التوجهات فيما يلى[٤٦]:

١- الحجاج من المنظور اللسانى: ركز أصحاب هذا التوجه على الحجاج باعتباره ظاهرة لغوية، فالحجاج هنا فعل لغوى ووظيفة أساسية للغة، ويمكن الكشف عنه من خلال أدوات وروابط وعبارات لغوية تلعب دورا أساسيا فى القيام بالعمليات الحجاجية.

٢- الحجاج من المنظور المنطقى: ينظر أصحاب هذا التوجه إلى الحجاج باعتباره نشاطًا منطقيًا خطابيًا، تستخدم فيه اللغة كوسيلة للتواصل، ويتمثل هذا النشاط فى مجموعة من العمليات الذهنية، فهم يرون الحجاج على أنه مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية لمتكلم ما، يتوجه بخطابه إلى مستقبل معين، من أجل إقناعه بفكرة محددة.

٣- المنظور البلاغى البرهانى : يرى أصحاب هذا التوجه أن الحجاج عملية تغطى حقل الخطاب بأكمله، وتستهدف الإقناع والاستمالة ،وأن الحجاج هو عملية تفكير واستدلال منطقى فيما يطرحه الخطاب من وجهات نظر تقبل الجدل بشأن ما تقدمه من أدلة وبراهين سواء بالرفض أو الاتفاق ،والحجج ما هى إلا تقنيات الخطاب التى تؤدى بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات، وتعتمد قوة الحجة أو ضعفها على براعة البلاغة البرهانية للحجة.

وقد استخدم الباحث نموذج "ستيفين تولمن" "Stephen Edelston Toulmin" والذى يعرف باستخدامات الحجاج "The Uses of Argument" والذى طرحه عام 1958م، ثم أجرى عليه تعديلات فى عام

1969م، حيث تنطبق مفاهيم هذا النموذج على أى حجة فى أى مجال أو حقل معرفى، والذى يختلف فقط هو محتوى أو مضمون الحجة من مجال معرفى إلى آخر: القانون والفلسفة والسياسة والاتصال وغيرها، وإن اختلفت أنماط هذا الاستخدام باختلاف الحقول المعرفية التى وظفته[٤٧]، وقد استخدمت هذا النموذج بعض الدراسات الخاصة بتحليل الخطاب السياسى[٤٨].

نموذج تولمن لتحليل الحجة "Toulmin's Model of Argument"

ينطلق نموذج "تولمن" من أن قوة أى خطاب تتوقف على قدرته على إحداث تواصل ناجح مع المتلقى، وهذا لا يتحقق إلا إذا حاز هذا الخطاب على قدر من الرضاء الجماهيرى من خلال الإقناع والمحاججة. إذ يصف الخطاب بمفاهيمه اللغوية واقع وسياق معين، وهناك عناصر محددة متفق عليها ومن خلالها يمكننا أن نحكم ما إذا كان استعمال هذا الخطاب لمفاهيمه يحقق نوعا من التواصل أم لا ، إذ يتأسس بالضرورة فى كل خطاب معنى معين أو عدة معان يراد توصيلها للقارئ[٤٩].

وقد يتجه من يوجه الخطاب فى أثناء فعل الاتصال إلى المعانى المختلطة فى ذهن المتلقى، ويحاول تطويعها من أجل تأكيد المعنى المقصود والذى يختلف باختلاف الاستخدام. ويتحقق المعنى المقصود للمفهوم فى إطار أى خطاب من خلال التعبير عن استجابات مختلفة (مثل الطلب والأمر والنهى والوعيد والتهديد والتمنى والرجاء..)، وأن يكون معززا ومؤيدا ببعض النتائج والتى منها الاستحسان والرضا والتأكيد والنجاح، وهذا يتم من خلال طرح الحجج Arguments الصادقة لتحقيق نوع من التواصل الحقيقى، وليس من خلال الحجج المغلوطة للتضليل والالتباس والتعتيم مما يؤدى إلى نوع من المغالطات[٥٠].

وتتطلب عملية المحاججة وجود فكرة رئيسية لدى منتج الخطاب يحاول إقناع المتلقى بها ,وعادة ما تتفاوت مساحة الاتفاق على تلك الفكرة بين طرفى العملية الاتصالية ,وتعد عملية المحاججة وطرح الحجج فى أى خطاب نوعا من النشاط الاجتماعى الذى يوجه للتواصل والحوار والتفاعل مع الآخرين فلا يمكن أن تتم عملية المحاججة فى سياق فردى.

ويتكون نموذج تولمن من المفاهيم التحليلية الستة التالية[٥١]:

١- الفكرة الرئيسية (الطرح الرئيسى)"Claim, Conclusion, Thesis

: وهو الإدعاء الذى يريد قائل الخطاب إثباته، وهو يمثل الفكرة المسيطرة على الخطاب، والتى يريد منتج الخطاب إقناع الآخرين بها.

٢- المسوغات : "Grounds, Fact, Evidence, Data وهى الحجج والمبررات المعطاة من أجل دعم الطرح الرئيسى لصاحب الخطاب، أى ما ساقه قائل الخطاب ليقنع المتلقين بالفكرة أو الموضوع الرئيسى للخطاب. وتستعين المسوغات بالاستشهاد المنطقى والوقائع التاريخية والأحداث المعاصرة والأرقام والإحصائيات وآراء المسئولين والخبراء والكتب والدراسات والأمثلة التطبيقية لدعم الفكرة الرئيسية فى الخطاب.

٣- الضمانات : "Warrants وهى الضمانات التى تربط الفكرة الرئيسية للخطاب وأسباب ومبررات دعمها أو تأييدها. أو بمعنى آخر، ما يدعو هذا الخطاب لتعهد وضمان تنفيذ ما جاء فى الخطاب من أفكار وموضوعات، فهى عبارة عن الكفالات والرخص المتمثلة فى المعتقدات السائدة والقيم والآراء المشتركة والرؤى الثقافية والاجتماعية المتعارف عليها، وهى التى تؤكد أو تعبر ضمنا عن الحجة، فهى حلقة الوصل بين الطرح الرئيسى والمبررات، أو الحجج الداعمة له، فإذا قلت مثلا: أنا مصرى ومسوغى هو أننى ولدت فى مصر، فالضمانة التى تقوى الحجة هنا أننى ولدت لأب مصرى.

٤- العون : "Backing وهى الدلائل التى يقدمها منتج الخطاب لكى يجعل الطرح أو الفكرة الرئيسية أكثر قبولا ومصداقية، خاصة إذا كانت الضمانات غير كافية فى مساندة الحجج والمبررات التى يسوقها منتج الخطاب لدعم الفكرة الرئيسية؛ ففى المثال السابق إذا لم يكن القارىء أو المستمع غير قانع بأن من ولد لأب مصرى فهو مصرى، فلا بد من الإشارة إلى النصوص القانونية الدالة على ذلك.

٥- الدفع :"Rebuttal وهى دفاعات وردود الخطاب على التحفظات ووجهات النظر المعارضة، سواء تمت الإشارة إليها من داخل الخطاب نفسه أو وجهت للخطاب من خطابات المعارضة. ويتوقع من الخطاب أن يتعامل بشكل منصف مع وجهات النظر المختلفة، وعلى الخطاب أيضا أن يتضمن إجابات على الأسئلة والاعتراضات التى يمكن أن ترد فى ذهن متلقى هذا الخطاب، وإلا سيضعف هذا من حجة الخطاب ويجعلها عرضة للهجوم من حجج أخرى مضادة ,ومن ثم تصبح هذه الدفاعات بمثابة رد مباشر للحجج المضادة أو المعارضة.

ويكون الدفع كما بالمثال السابق أن من ولد لأب مصرى فهو مصرى إن لم يكن قد ارتكب أعمالا يمكن أن تسقط عنه الجنسية إذا كان هناك نص فى الدستور بهذا الشأن.

٦- المقيدات :"Qualifiers" وهى العبارات أو الكلمات التى يستخدمها منتج الخطاب لتعبر عن درجة تثبته من قوة فكرته الرئيسية من عدمه، ومن هذه التعبيرات: من المحتمل ـ بكل تأكيد ـ كثيرا ـ مرات عديدة ـ نادرا ـ قليلا ـ من الممكن ـ من المؤكد.

وتمثل المكونات الثلاثة الأولى (الفكرة الرئيسية -المسوغات -الضمانات) المكونات الأساسية " Essential Components" فى نموذج "تولمن" ، بينما المكونات الثلاثة الباقية هى مكونات ثانوية، حيث إنها لا تتوافر بالضرورة فى كل أشكال الحجاج إلا إذا كانت القضية المطروحة موضع جدل وسجال قوى، فإن ذلك يقتضى الاستعانة بالمكونات الثانوية فى النموذج لدعم وجهات النظر المطروحة.

وقد وظفت الدراسة الحالية نموذج "تولمن" فى الكشف عن آليات كل خطاب فى الدفاع عن رأيه فى مسألة "شرعية الخروج على الحكام" ومدى نجاحه أو إخفاقه فى تقديم حجج وأدلة وبراهين مقنعة وملائمة وصادقة، وكذلك فى ردوده على حجج الخطاب الآخر، كما تم توظيفه فى الكشف عن الحجج والاستدلالات الضعيفة أو المغلوطة "Poor and Fallacious Argu-ments" أو الاستدلالات المغالطية "Fallacies" التى يستخدمها الخطاب الدينى بشأن قضية الخروج.

المغالطات الخطابية Discourse Fallacies

لم يعد الدرس الحجاجى المعاصر يتوقف عند حد رصد مقولات وحجج كل خطاب، وإنما يتجاوز ذلك الحد إلى الكشف عن جوهر هذه الحجج وما قد يعتريها من عوار، وهو ما يعرف بـ "المنطق غير الصورى" الذى أصبح من مباحثه رصد أنواع الحجج غير المنطقية، أو ما يعرف بـ "المغالطات"[٥٢].

ويرى البعض أن أغلب محاوراتنا لم تعد تخلو من المغالطات المنطقية والمراوغات، وإذا اشتمل الحوار أو الجدل على مغالطات فى منطق الحوار فإنها تجعل المناقشات غير مجدية من الأصل، بل وتجعلها عقيمة ومجهضة منذ البداية. وقد عرف البعض المغالطات بأنها: " تلك الأنماط من الحجج الباطلة التى تتخذ مظهر الحجج الصحيحة، ولعل من الأصوب القول إنها أنماط شائعة من الحجج الباطلة التى يمكن كشفها فى عملية تقييم الاستدلال غير الصورى"[٥٣]، كما عرفها البعض على أنها: "اصطناع مقدمات مزيفة توهم بصحتها فتسوق فكر من يراد إقناعه بالباطل من حيث لا يشعر، حتى توقعه فى الغلط، وهو يعتقد أنه على صواب، فيقبل الباطل الذى يساق إلى الاقتناع به، ويظنه حقا، فيعتقد صوابه، ويؤمن به، ثم يدافع عنه ويبشر به"[٥٤].

ولقد ساعد المنطق غير الصورى "Informal Logic" على وضع أسس الحوار المثمر وقواعد الجدل الصحيح، كما حدد العديد من "المغالطات المنطقية "Logical Fallacies" وعرف بها ووضع الشروحات المفسرة لها حتى يسهل اكتشافها، وتجنبها فى الحوارات والمجادلات، حتى يكون الحوار بناءً ومفيدا وخاليا من المغالطات[٥٥]. كما أن كشف المغالطة وتسميتها وتحليلها من شأنه أن يقصى الحجة الداحضة من ساحة الجدل نهائيا.

وإذا كان تحليل الحجاج يكشف عن الحجج المتداولة لمنتج الخطاب للكشف عن وجهة نظره وتدعيمها والبرهنة على صحتها، فإن تحليل آليات المراوغة وذلك بالكشف عن المغالطات المنطقية يساعد فى الكشف عن عوار بعض تلك الحجج التى ربما يستند إليها كل خطاب فى الدفاع عن وجهة نظره، وهكذا لا تقل أهمية دراسة المغالطات الخطابية عن دراسة الحجج المستقيمة، ودراسة كليهما تتولاها نظرية الحجاج عامة.

ويرى الباحث أن الكشف عن مراوغات الخطاب، وذلك من خلال رصد المراوغات التى وردت به سواء للدفاع عن رؤية صاحبه، أو نسف رؤية الطرف الآخر سوف يثرى الدراسة الحالية.

وتنقسم المغالطات الخطابية إلى أربعة أنواع[٥٦]:

أولا: مغالطات الغموض والالتباس ": "Fallacies of Ambiguity ومنها المراوغة والمواربة فى استخدام الكلمات والعبارات بمعان متعددة Equivocationوالتلاعب بالألفاظ والإيهام وعدم التأكيد والاقتباس فى غير موضعه والتعميم غير الموضوعى وسحب الجزء على الكل.

ثانيا: مغالطات ذات الصلة بالموضوع ":"Fallacies of Relevance ويتضمن هذا النوع اللجوء إلى القوة " "Appeal to Forceأو إلى أمر ضمنى أو تهديد غير مشروع، وهذا على عكس التحذير والتوضيح المشروع، أيضا الهجوم الشخصى على أشخاص " "Personal Attackيتناولها الخطاب وليس على حججهم

وأقوالهم. ومن هذا النوع من المغالطات أيضا اللجوء إلى مخاطبة المشاعر الجماهيرية أو الشعبية واللعب على أوتارها ، واللجوء أيضا إلى استجداء التعاطف و يدخل ضمن هذا النوع أيضا الاعتماد على الصور النمطية فى صياغة وتقديم الحجج وتشكيل رؤية هذا الخطاب بشكل عام ، ومن هذه المغالطات ما يطلق عليه الإنسان القش" Straw Man" ويقصد به وهن أو ضعف الحجة وكذلك الحجة المشوشة ، وأخيرا النتيجة غير المتسقة مع المقدمات المطروحة ". Irrelevant Conclusion"

ثالثا: مغالطات الاحتمالات أو الافتراضات المسبقة "Fallacies of Presumption": ومن أشهر هذا النوع من المغالطات تداخل المقدمات مع النتائج والوقائع مع التقييم، والتغاضى عن الأدلة التى هى ضد موقف الخطاب أو التحيز لوجهة نظر الخطاب، أو طرح تساؤلات فى صورة إجابات نهائية، وأيضا ما يسمى بالثنائية الخاطئة أو منطق إما وإما ". False Dichotomy"

رابعا: مغالطات الاستنتاجات الضعيفة "Fallacies of Weak In-duction": وتظهر هذه المغالطات نتيجة للاستخدام الخاطئ لأى نوع من أنواع السلطة المادية "Appeal to Authority" وأيضًا السلطة الرمزية كالعادات والتقاليد المشتركة والرأى السائد، أو اللجوء إلى أسباب واهية "False Cause" ووهمية لإثبات شئ، وأيضًا الاعتماد على تعميمات غير موضوعية "Hasty Generalization" ونتائج متسرعة وأدلة غير وافية، وتبرير الخطأ بخطأ الغير، ومن هذا النوع من المغالطات أيضًا الانزلاق فى سلسلة من الأسباب والنتائج الخاطئة المترتبة عليها.

ويتضح مما سبق أن هدف أى محاججة هو الجدل وإقناع المتلقى، وهى عملية تفكير واستدلال منطقى فيما يطرحه الخطاب من وجهات نظر تقبل الجدل بشأن ما تقدمه من أدلة وبراهين، سواء بالرفض أو القبول. وتتعدد فى سبيل ذلك أشكال الحجاج وتتنوع فهناك الحجاج (الصريح ،والضمنى، والجدلى،والتبريرى وغيرها) ، وتتعدد استخدامات الحجاج وتتباين مرجعياتها وتأويلاتها تبعا لنوع هذا الحجاج. ففى النهاية هدف كل خطاب هو الإقناع والتأثير من خلال ما يسوقه من حجج (للتأثير والاستمالة) ،وأدوات إقناعية (أدلة وبراهين). وغاية الفعل الحجاجى الإقناع، ومن ثم فقد ارتبط هذا الفعل بالمتلقى أى بالآخر ،إذ أنه يسوغ ويبرر ويدعم ويكشف ،وإن كانت حدوده مقيدة بقيود الاحتمالية والنسبية(٥٧).

وتستمد كل محاججة أو حجاج معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة ومن خصوصية الحقل التواصلى الذى يظهر فيه. وبقدر ما تتباين وتغتنى أشكال ومضامين الخطاب بقدر ما تختلف وتتباين فيه درجات الفعالية الحجاجية سواء على مستوى التصريح أو مستوى الإضمار. ومن ثم يستمد الحجاج معناه التواصلى أو استعماله أولا من سياقه وثانيا من شرطه التخاطبى، سواء تمثل فى التخاصم أو التنازع أو الجدل أو الغلبة أو الإقناع أو التسويغ أو التسويف... أى فى التأثير، وكيفية تحويل الخطاب إلى فعل عملى وممارسة عملية، ويظل هذا التأثير رهن الإجماع والانخراط فى سياق الأفكار أو القيم المسلم بها والتى توجه أو تدير الرأى العام. وتصبح البرهنة أو فن الحجاج مجرد إقناع بأساليب لفظية أو استدلالية خاضعة لإجماع متلقى الخطاب فى إطار مكانى محدد وسياق أو واقع بعينه(٥٨).

أهداف الدراسة

تستهدف الدراسة الحالية تحليل وتقويم رؤية الخطاب السلفى الإلكترونى لمشروعية ثورة 25يناير 2011م، ومحاولة تقديم رؤية لتطوير الخطاب السلفى الراهن حتى يكون داعما للثورة وليس معرقلا لمسيرتها عن الإتجاه الصحيح.

وسعيا لبلوغ ذلك الهدف فقد تحدد ذلك من خلال ما يلى:

١- التعرف على حجم اهتمام الخطابات السلفية بشرعية ثورة ٢٥ يناير على موقع ". youtube"

٢- التعرف على موقف الخطابات الدينية السلفية عبر موقع youtube فيما يتعلق بشرعية ثورة 25يناير 2011م.

٣- التعرف على مدى قدرة الخطابات الدينية السلفية عبر موقع "youtube على بناء وتطوير معنى وتصور لمفهوم الثورة من المنظور الإسلامى والمغاير لمفهوم "الخروج بالسيف" الذى كان سائدا فى صدر الإسلام، ويتواءم مع ما تنص عليه الدساتير الراهنة من أن الثورة آلية من آليات التعبير عن الرأى، وحق للشعوب فى تغيير أوضاع غير مرغوبة فى مجتمعاتها ونظمها السياسية.

٤- رصد أطروحات الخطابات الدينية السلفية عبر موقع youtube فيما يتعلق بشرعية ثورة ٢٥ يناير، ومنطلقاتها الفكرية.

٥- رصد الحجج والبراهين التى استخدمها كل خطاب فى التعبير عن وجهة نظره.

٦- رصد آليات الدعم والمساندة لدى كل خطاب وآليات

التفنيد فى تفاعله مع الخطاب المعارض بشأن شرعية ثورة 25 يناير2011م.

٧- رصد أهم المراوغات الخطابية التى استند إليها كل خطاب فى دحض أفكار وتصورات الخطاب الآخر.

تساؤلات الدراسة :

ارتباطا بالمشكلة البحثية وأهدافها، تسعى الدراسة للإجابة على مجموعة التساؤلات البحثية التالية:

١- ما حجم اهتمام الخطابات السلفية بقضية شرعية ثورة 25 يناير عبر موقع "youtube"

٢- ما موقف الخطابات الدينية السلفية عبر موقع "youtube" فيما يتعلق بشرعية ثورة 25يناير 2011م، وإذا كانت تعد نوعا من الخروج على الحكام أم لا؟

٣- هل أنشأت الخطابات الدينية السلفية عبر موقع "youtube" معنى وتصورا جديدا للثورة مغايرا لمفهوم "الخروج" أم كانت تطورا لما سبق لا تنقل جديدا؟ وهل تغالط هذه الخطابات فى إمكان وجود بدائل أو حقائق أو مفاهيم ومعان أخرى لمفهوم "الثورة" غير معنى "الخروج بالسيف" (من خلال إثباتها لأدلة أخرى غير الأدلة الحقيقية أو الواقعية)؟

٤- ما أطروحات الخطابات الدينية السلفية عبر موقع you-tube فيما يتعلق بشرعية ثورة 25يناير، وما منطلقاتها الفكرية؟

٥- ما أهم الحجج والبراهين التى استخدمها كل خطاب فى التعبير عن وجهة نظره؟

٦- ما آليات الدعم والمساندة وما آليات التفنيد التى استخدمها كل خطاب فى تفاعله مع الخطاب المعارض بشأن شرعية ثورة 25يناير2011م؟

٧- كيف وظف كل خطاب الأطر المرجعية التى استند إليها فى تناول ثورة 25يناير لتأكيد صحة توجهه؟

٨- ما أهم المراوغات الخطابية التى استند إليها كل خطاب فى دحض أفكار وتصورات الخطاب الآخر؟

٩- هل تطرح هذا الخطابات الدينية الإلكترونية السلفية حججها وجدلها من أجل صنع الحقيقة المرغوب فيها فى السياق العربى الراهن أم فقط تقدمها كما هى بعيدا عن سياقها الأصلى؟

١٠- ما المقترحات الخاصة بتطوير الخطاب الدينى السلفى وتفعيل دوره فى إدارة الأزمات الراهنة بعد ثورة 25يناير 2011م؟

نوع الدراسة

تندرج هذه الدراسة ضمن اطار الدراسات الوصفية، لكنها تتجاوز الوصف إلى محاولة تقديم رؤية تحليلية نقدية للخطابات السلفية الإلكترونية بشأن شرعية ثورة 25يناير، كما تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الكيفية حيث إنها تعنى بالأساس إلى الوصف الشامل والتحليل المتعمق للمادة التى يتم تحليلها، وتوضيح الأفكار العامة والتفصيلية، وما يكمن وراءها من معان ودلالات وما تعبر عنه من استنتاجات سليمة واستدلالات منطقية، فالتركيز هنا ينصب على الأفكار والمعانى وليس على الخصائص الكمية أو الوصف الكمى(٥٩).

المنهج والأدوات البحثية

تعتمد الدراسة على إطار منهجى يتوافق مع أهدافها ومتطلباتها المعرفية، حيث يوظف الباحث منهج المسح بشقيه الوصفى والتحليلى باعتبار ما يمنحه من إمكانيات رصد وتحليل لكل خطاب من الخطابات الدينية السلفية المطروحة بشأن شرعية ثورة 25يناير2011م، كما اعتمد الباحث على المنهج المقارن فيما يخص سياقات المقارنة بين مختلف الخطابات الدينية المطروحة بشأن قضية شرعية ثورة 25يناير.

ووفقا لأهداف الدراسة الحالية فقد استخدم الباحث أداة تحليل "مسار البرهنة"، وذلك باعتبار أن الخطاب الدينى عبر شبكة الإنترنت هو رسالة إقناعية تستهدف إقناع الجمهور بأطروحات معينة، أو تفنيد وجهات نظر مضادة فى إطار حوار تفاعلى تنافسى بين خطابات تستند إلى أطر مرجعية متباينة، وتتنازع فيما بينها بشأن قضية جدلية.

وفى إطار ذلك قام الباحث بتصميم استمارة تحليلية اشتملت بدورها على فئات لتحليل الخطاب والتى تمثلت فى المكونات الستة لنموذج تولمن (الفكرة الرئيسية أو الطرح / المسوغات /الضمانات /العون/ الدفع/ المقيدات) بالإضافة إلى المغالطات المنطقية التى يمكن أن يشتمل عليها الخطاب وهى (مغالطات الغموض والالتباس / مغالطات ذات الصلة بالموضوع / مغالطات الاحتمالات أو الافتراضات المسبقة / مغالطات الاستنتاجات الضعيفة).

وقد وظف الباحث هذه الأداة لاستخراج المقولات الأساسية أو الطرح المركزى الذى يستهدف منتج الخطاب الترويج له وتدعيمه. وقد قام الباحث بحصر الخطابات الدينية المتعلقة بشرعية ثورة 25يناير أو شرعية الخروج على الحكام،

ومتابعتها، واستخراج "المقولات الأساسية" أو "الطرح المركزى" المتعلق بكل خطاب، والذى يستهدف منتج الخطاب الترويج له، حيث قام الباحث بحصر الحجج أو "البراهين" المرافقة لكل طرح، وآليات الدعم وآليات التفنيد للحجج المضادة للخطاب، بالإضافة إلى آليات المراوغة فى كل خطاب، وبذلك تكون لدى الباحث جانب كمى تمثل فى عدد الحجج والاستراتيجيات المطروحة، وجانب كيفى يتمثل فى طبيعة الأطروحات، ونوعية الحجج المساندة، وأسماء منتجى هذه الأطروحات، وانتماءاتهم الفكرية، وتفسير ذلك فى ضوء أهداف الدراسة.

مجتمع الدراسة:

اشتمل مجتمع الدراسة على الأبعاد التالية:

١- الإطار الموضوعى: شمل الإطار الموضوعى للدراسة خطاب السلفيين بشأن شرعية ثورة 25يناير 2011م، وهو ما يعنى استبعاد أى خطابات أخرى غير سلفية مثل خطاب الإخوان أو الأزهر أو الصوفية، فهى خارج نطاق البحث ويمكن إجراء بحوث أخرى مكملة لهذه الدراسة عليها.

٢- الإطار المكانى للدراسة: شمل الإطار المكانى للدراسة موقع "youtube"حيث يتم تحميل مقاطع الفيديو التى تهم الرأى العام عبر هذا الموقع، وهو ما يجعل له تميزا خاصا من هذه الزاوية مقارنة بباقى المواقع الإجتماعية الأخرى على شبكة الإنترنت.

٣- الإطار الزمنى: شمل الإطار الزمنى للدراسة ما تم تحميله على موقع youtubeبشأن موضوع الدراسة طوال الفترة من بداية وقوع الثورة فى٢٥يناير٢٠١١م وحتى نهاية ديسمبر ٢٠١٢م.

وقد قام الباحث بمسح جميع الفيديوهات الخاصة بشرعية ثورة 25يناير 2011م عبر موقع "youtube"وتم استخدام كلمات دالة عديدة للحصول على الفيديوهات التى تم تحميلها على الموقع منذ اندلاعها منها (شرعية ثورة 25يناير -ثورة 25يناير حلال أم حرام -الشرع وثورة 25يناير -الشيخ حسان والثورة -الشيخ أبو اسحق والثورة -الدكتور محمد عبد المقصود والثورة - الشيخ سعيد رسلان والثورة -وغيرهم من الشيوخ -مناظرات دينية بشأن ثورة 25يناير -السلفية السرورية والثورة -السلفية المدخلية والثورة) وقد استغرقت عملية المسح الفترة من أول يوليو2012م وحتى نهاية ديسمبر 2012م، وقد حصل الباحث على ٥٦٣ مقطع فيديو، وقد استبعد الباحث مقاطع الفيديو المتكررة (حيث لاحظ الباحث أن بعض المقاطع يتم تحميلها بواسطة أكثر من شخص تحت عناوين مختلفة)، وكذلك المقاطع الخاصة بشيوخ السلفية من خارج مصر كالشيخ صالح الفوزان والشيخ العريفى والشيخ ربيع المدخلى وغيرهم الذين يتحدثون عن الخروج على الحكام بشكل عام، ولا يتعلق خطابهم بالثورة المصرية على وجه الخصوص، وبلغ إجمالى مقاطع الفيديو التى خضعت للدراسة والتحليل 187مقطعا.

نتائج الدراسة:

فى ضوء نموذج "تولن"، أمكن الكشف عن مجموعة من "الأطروحات/الأفكار" الرئيسية ? claimsوالتى تمثل الادعاءات التى يريد منتج الخطاب إثباتها، وهى تمثل الأفكار المسيطرة على الخطاب، والتى يريد منتج الخطاب إقناع الآخرين بها. وقد دارت الأطروحات والتى مثلت مجمل تفاعلات كلا الخطابين السلفيين بشأن قضية "شرعية ثورة 25يناير 2011م" حول فكرتين متناقضتين، الأولى تقر بأن "ثورة 25يناير ثورة شرعية ولا تخالف صحيح الدين، أى أنها حلال" وهى التى تبناها أنصار الفريق الأول، والثانية تقر بأن "ثورة 25يناير فتنة وهى من البدع المحدثة فى الدين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار، أى أنها حرام".

ورغم أن الدراسة تعتمد على التحليل الكيفى بالأساس، إلا أن الباحث قام بالحصر الكمى لاستراتيجيات كل خطاب، وعدد الحجج والمراوغات التى وردت به، كما يلى:

١- استراتيجيات الخطاب:

جدول رقم (١)

استراتيجيات خطاب السلفيين بشأن شرعية ثورة ٢٥ يناير

التكرار / الاستراتيجيات	خطاب السلفية السرورية		خطاب السلفية المدخلية		المجموع	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
استراتيجية الاثبات	٢٨	١٩,٧	١٥	١٠,٦	٤٣	٣٠,٣
استراتيجية الدحض	١٤	٩,٩	٣٤	٢٣,٩	٤٨	٣٣,٨
استراتيجية السجال	٢٣	١٦,٢	٢٨	١٩,٧	٥١	٣٥,٩
المجموع	٦٥	٤٥,٨	٧٧	٥٤,٢	١٤٢	١٠٠

ويلاحظ من الجدول السابق أن استراتيجية السجال احتلت الترتيب الأول فى خطاب السلفيين بشأن شرعية ثورة 25يناير وذلك بنسبة 35.9% تليها استراتيجية الدحض بنسبة 33.8% بينما احتلت استراتيجية الاثبات الترتيب الأخير بنسبة 30.3% ويتضح من ذلك مدى حرص أصحاب كلا الخطابين على دحض وجهة نظر الخطاب الآخر وتفنيد حججه، الأمر الذى يعكس تعصب أصحاب كل خطاب إلى وجهة نظرهم دون محاولة تفهم وجهة النظر الأخرى، وبالتالى فلم تكن هناك تداولية بين أنصار كلا الخطابين، وإنما هو محض جدل لا يساهم فى بناء الحقيقة بشأن شرعية ثورة 25يناير من وجهة النظر الإسلامية.

وفى الوقت الذى غلبت فيه استراتيجة الإثبات على خطاب السلفية السرورية حيث بلغت نسبتها19.7% فقد جاءت استراتيجية الدحض فى المقام الأول لدى السلفية المدخلية بنسبة 23.9% ولعل ذلك يرجع لانشغال أصحاب الفريق الأول بإثبات شرعية الثورة فى ظل وجود كم كبير من الأحاديث النبوية الشريفة التى تحرم الخروج على الحاكم، بينما ركز أصحاب السلفية المدخلية على دحض وجهة نظر السلفية السرورية الخاصة بشرعية الثورة.

٢- آليات الحجاج الخاصة بكل خطاب:

جدول رقم (٢)

آليات الحجاج الخاصة بخطاب السلفيين بشأن شرعية ثورة ٢٥ يناير

التكرار / آليات الحجاج	خطاب السلفية السرورية		خطاب السلفية المدخلية		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
الطرح الرئيسى	١	٥٠,٠	١	٥٠,٠	٢	١٠٠
المسوغات	٤١	٣٨,٧	٦٥	٦١,٣	١٠٦	١٠٠
الضمانات	٢٤	٥٧,٢	١٨	٤٢,٨	٤٢	١٠٠
العون	٢٢	٧١,٠	٩	٢٩	٣١	١٠٠
الدفع	٤٣	٤٣,٤	٥٦	٥٦,٦	٩٩	١٠٠
المقيدات	٣٧	٥٩,٧	٢٥	٤٠,٣	٦٢	١٠٠

يلاحظ من الجدول السابق أن كل خطاب انطلق من طرح مركزى واحد الأول يؤكد على أن ثورة ٢٥ يناير حلال وهذا ما تقول به السلفية السرورية، والثانى يؤكد على أن ثورة 25يناير حرام شرعاء، وهذا ما تقول به السلفية المدخلية.

وفى الوقت الذى كثرت فيه المسوغات فى خطاب السلفية المدخلية حيث بلغت 61.3% مقارنة بخطاب السلفية السرورية التى بلغت فيه 38.7% فإننا نلاحظ كثرة الضمانات وأساليب العون التى وظفها أنصار السلفية السرورية مقارنة بأنصار السلفية المدخلية، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الأدلة الواردة فى السنة والتى تحذر من الخروج على الحكام، وهو ما فرض على أنصار السلفية السرورية الإكثار من أساليب العون والضمانات التى تدعم حججهم فى مواجهة خطاب السلفية المدخلية، وقد ظهر هذا الأمر كذلك فى اسراف السلفية السرورية فى توظيف المقيدات اللغوية حيث بلغت 59.7% مقارنة بنسبة المقيدات التى تم توظيفها فى خطاب السلفية المدخلية التى بلغت 40.3% فقد أسرف السروريون فى استخدام أساليب التوكيد والقصر وغيرها للتأكيد على صحة وجهة نظرهم.

٣- المغالطات الخطابية:

جدول رقم (٣)

المغالطات الخاصة بخطاب السلفيين بشأن شرعية ثورة ٢٥ يناير

التكرار / المغالطات	خطاب السلفية السرورية		خطاب السلفية المدخلية		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
مغالطات النموض	٢٢	٢٤,٧	٥	٥,٦	٢٧	٣٠,٣
مغالطات ذات صلة بالموضوع	١٧	١٩,١	١١	١٢,٤	٢٨	٣١,٥
مغالطات الاحتمالات المسبقة	١٥	١٦,٩	٦	٦,٧	٢١	٢٣,٦
مغالطات الاستنتاجات الضعيفة	٤	٤,٥	٩	١٠,١	١٣	١٤,٦
المجموع	٥٨	٦٥,٢	٣١	٣٤,٨	٨٩	١٠٠

يلاحظ من الجدول السابق غلبة نسبة المغالطات ذات الصلة بالموضوع 31.5% وكذلك مغالطات الغموض والالتباس التى بلغت 30.3% مقارنة بباقى المغالطات الأخرى، وهو ما يكشف عن مراوغة كل خطاب فى رده على أنصار الخطاب الآخر، وعدم قبول جوانب القوة فى حجة الطرف الآخر، وكذلك للتستر على بعض جوانب الضعف فى حجة كل خطاب. ومن ناحية أخرى يلاحظ زيادة نسب المراوغات الخاصة بالغموض والمغالطات ذات الصلة بالموضوع، ومغالطات الاحتمالات المسبقة لدى السروريين مقارنة بالمداخلة، ويرجع ذلك لحرص المداخلة عن الكشف عن مغالطات السروريين فى سجالهم معهم، بينما غلبت مغالطة الاستنتاجات الضعيفة على خطاب المداخلة 10.1% مقارنة بالسروريين 4.5% نظرا لاعتمادهم على بعض الأدلة التاريخية وغضهم الطرف عن الأدلة المعاصرة، وهو ما تكشف عنه نتائج التحليل الكيفى فى الجزء التالى من الدراسة.

نتائج الدراسة الكيفية:

وفى الجزء التالى سيتم عرض أطروحة كل خطاب، والحجج والضمانات وأساليب العون الخاصة به، وكذلك دفوعاته "Rebuttals" والمقيدات "Qualifiers" اللغوية التى استعان بها للتأكيد على فكرته، ومجابهة ما يطرحه الخطاب الآخر، وذلك على النحو التالى:

أولا: الخطاب المؤيد لشرعية ثورة ٢٥ يناير

انطلق أصحاب الفريق المؤيد لشرعية ثورة 25يناير من أطروحة " "Claim/Thesisأن الثورات السلمية شرعية - أى حلال - حيث لا يوجد دليل على حرمتها"، وقد استدلوا على ذلك بالحجج والمسوغات " "Groundsالتالية:

١- الخروج المحرم هو ما كان بعد السيف

يرى أصحاب هذا الفريق أن العرب لم يكونوا يعرفون الثورات - التى هى بمعنى التعبئة الشعبية - سواء فى جاهليتهم أو فى الإسلام، وأن العربى إذا رفض واقع مجتمعه إما أن يرتحل عنهم وإما أن يستعين بأصهاره وحلفائه ويقاتل بنى قومه حتى ينتزع منهم السيادة، و من هنا فإن الأحاديث التى وردت فى تحريم الخروج على الحاكم لم يكن يراد بها الثورات والمظاهرات والمسيرات، فإن ذلك كله لم يكن يدور بوجدان العرب وعقولهم، بل كانوا لا يعرفون إلا الاصطدام المسلح فقط، ولذلك فإن النبى صلى الله عليه وسلم شدد فى تحريم هذا الأمر لما يترتب عليه من مفاسد لا تخفى على أحد، وبالتالى فإن الشرع لم يتعرض للثورات بالإيجاب أو التحريم، بل تعرض الشرع فقط للخروج المسلح على الحاكم ونظام الدولة، ويؤكد أصحاب هذا التوجه على أن الثورة وسيلة لغاية، والوسائل لها أحكام المقاصد، فإن كانت تعبئة الناس على أمر يرضاه الله ويقره، فالثورة مما يرضاه الله ويقره، وإن كانت تعبئة الناس على أمر يكرهه الله ويبغضه، فالثورة مما يكرهه الله ويبغضه.

وذكر الشيخ يوسف القرضاوى "أن ثورة 25يناير ليست خروجا على الحاكم، فالخروج هو ما كان بالسلاح، وهو يرى أن أساليب تغيير الحكم فى العالم الإسلامى يمكن أن تتم بثلاثة أوجه: التغيير الديمقراطى عن طريق الانتخابات أو من خلال الانقلابات العسكرية وهذا ما يسميه الفقهاء التغلب، أو الثورة الشعبية التى تعبر عن عموم الشعب فهذه هى البيعة أو الرضا العام"[٦٠].

وقد استشهد الشيخ القرضاوى بوقوف سعيد بن جبير فى وجه طغيان "الحجاج بن يوسف الثقفى" صادعا بالحق حيث قدم نموذجا للعالم الربانى الذى واجهه وتصدى لظلمه، وأنه خير قدوة وأسوة فى مواجهة الظلم وعدم السكوت عليه رغم أنه كانت نهايته على يديه[٦١].

وقد أكد الشيخ أبو اسحق الحوينى أنه "لا يوجد نص قطعى فى تحريم الخروج إلى المظاهرات"[٦٢]، كما أكد ذلك الشيخ وحيد عبد السلام بالى بقوله "ليس هناك دليل على حرمة المظاهرات"[٦٣]. وقال الشيخ محمد عبد المقصود: "ونحن إنما ننكر باللسان فليس هذا خروجا"[٦٤] ويقول الشيخ مصطفى العدوى: "إن ما حدث فى 25يناير لا يوصف بأنه خروج على الحاكم، لأنهم - من وجهة نظره - نهاة عن المنكر، ويمكن تسميته مطالبة بحقوق أو مطالبة برفع مظالم"[٦٥].

ومن الدفوع " "Rebuttalsالتى وظفها أصحاب هذا التوجه فى ردهم على أنصار الفريق الآخر القائل بأن ثورة 25يناير حرام، قولهم بأن ما ورد فى حديث حذيفة رضى الله عنه فى صحيح مسلم "قلت : يا رسول الله إنا كنا بشّر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال "نعم" قلت : فهل من وراء ذلك الشر خير؟ قال "نعم" قلت : فهل من وراء ذلك الخير شر؟ قال "نعم" قلت : كيف؟ قال "يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى، ولا يستنون بسنتى. وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب

الشياطين فى جثمان إنس" قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع"، قال الشيخ مصطفى العدوى إن الزيادة " وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" لا تثبت وهى التى تحدث خلطا فى فهم حدود الطاعة[٦٦]، وهذا ما أكده الشيخ يوسف القرضاوى من الحديث الذى استدل به بعض دعاة السلطة والشرطة ليوهموا الشعب أن عليهم السمع والطاعة للحاكم الجائر ،هذا الحديث ليس صحيحا فهو ضعيف بالرغم من وروده فى كتاب صحيح مسلم، حيث إنه ليس من أحاديث الأصول فى صحيح مسلم بل من أحاديث المتابعات التى تساهل فيها الإمام مسلم رضى الله عنه، وهذا ما أقره الدارقطنى وغيره ، كما أن القرآن الكريم ينبذ الظلم والركون إلى الظالمين ويأمر الناس ألا يكونوا جنودا لفرعون، ويرى القرضاوى أن الكثيرين من أهل العلم لا يتقنون فقه الموازنات ولا فقه المقاصد ولا فقه الأولويات، كما أنهم أصبحوا يتصدرون الفضائيات ويبالغون فى صغائر الأشياء ويهونون من عظائمها كجور الحكام على الرعية[٦٧].

ولعلنا نلاحظ هنا أن أصحاب الفريق المؤيد للثورة وشرعيتها كشفوا عما نسميه -وفقا لنموذج "تولن" -مغالطة الإنسان القش " "Straw Manويقصد به وهن أو ضعف الحجة وكذلك الحجة المشوشة، حيث يرى فريق أصحاب عدم الخروج على الحاكم بضرورة طاعة الحاكم ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك، نظرا لأن هذه الزيادة فى حديث حذيفة ضعيفة، والاستعانة بها تضعف حجة أنصار فريق عدم الخروج.

٢- ما حدث فى مصر ليس له مثال سابق ولا ينطبق عليه مفهوم الثورة

يرى الفريق المؤيد لأحداث 25يناير2011 م، أن الذى حدث فى مصر لم يكن له نظير فى الماضى على مر التاريخ الإسلامى، وإنما هو من المسائل النازلة التى لم يقع لها مثيل من قبل.فلا يستدل على ما حدث فى مصر بأدلة تحريم الخروج على الحكام أو بكلام العلماء فى تحريم المظاهرات، بل يكون الأمر خاضعا للاجتهاد المحض المبنى على المصلحة والمفسدة، إذ ليس هناك نص قطعى فى المسألة. ويتفق أغلب أصحاب هذا الفريق على أن الذى حدث فى مصر لا يتعلق به حكم شرعى وإنما هو من باب العادات.

وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق الحوينى "أن ما حدث فى مصر ليس له مثال سابق ولم يلحقه بحكم الثورات لعدم وجود قيادة أو رأس، فسماها "فورة" ولم يسمها "ثورة" لأن الثورة عنده لابد لها من قيادة أو رأس"[٦٨].

وقد أكد الشيخ محمد حسان المعنى نفسه بقوله »ما حدث فى مصر أمر فريد جديد لا سابق له فى العصر الحديث على الإطلاق ولا ينبغى أن نقيس عليه، وأن الشباب ما خرجوا إلا ليعبروا عن حقوقهم المشروعة[٦٩].

٣- لم يكن مبارك الحاكم الشرعى للبلاد

يرى أصحاب فريق الخروج أن المراد بـ "الحاكم" محل النزاع هو من يحمى جناب الشريعة، وثغور المسلمين، ويقيم الحدود، ويستوفى الحقوق، لا من يعمل ضد ذلك، وأن الرئيس السابق "مبارك" لم يكن الحاكم الشرعى للبلاد الوارد ذكره فى النصوص وكلام أهل العلم، وبالتالى فإن الذى ينكر على الشباب ثورتهم المباركة، فإن إنكاره فى غير محله، سواء من ناحية مفهومه للحاكم الشرعى، وإدعاؤه الإجماع على عدم الخروج عليه، وليس فى المسألة إجماع سواء فى القديم أو الحديث، أو فى تنزيله النصوص على الواقع، إذ المظاهرات السلمية فى غير محل النزاع، لأنها ليست خروجا على الحاكم.

وقد ذكر الشيخ محمد عبد المقصود: "بفضل الله والحمد لله إننى أبرأ إلى الله من هذه القوانين الوضعية ومن واضعيها ومن الحاكمين بها أبغضهم فى الله، وأحكم عليهم بأنهم كفروا حين بدلوا شريعة الله، وأبرأ إلى الله منهم ومن قوانينهم وممن شايعهم أو والاهم على هذا الأمر"[٧٠].

وقد أكد الشيخ فوزى السعيد على نفس الحجة[٧١]، إذ أنه أكد على أن ثورة 25يناير كانت سلمية، وإذا كان هناك من يعتبرها خروجا على الحاكم، فإن مبارك لم يكن الحاكم الشرعى للبلاد، بل كان طاغوتا يجب الخروج المسلح عليه، ومن الضمانات " "Warrants التى وظفها الشيخ فوزى السعيد لدعم حجته قوله "إننا نعيش فى زمان ظهر فيه الكفر البواح، وهو ما يستوجب الخروج على هؤلاء الحكام الذين بدلوا شرع الله، وهو ما يعد إهدارا كاملا لربوبية رب العالمين، فقد شاع الطعن فى الدين والاستخفاف بأحكامه، وإن تبديل الشرائع كفر أكبر مخرج عن الملة، وليس كفر دون كفر، فالحاكم – حتى لو كان فاسقا- لا يجوز الخروج عليه بالقتال ما دام يقيم الصلاة، لكن هذا لايمنع الإنكار عليه، والمناصحة والمباينة، وإن أخص خصائص الربوبية التشريع، وأخص خصائص الحاكمية

التشريع، ويجب أن يؤخذ كلام الله بقوة، وأن يحترم، ولا ينبغى لأحد أن يعلق على ما حكم الله به، كأن تقطع يد السارق إذا سرق، وذلك كما يقول الحق سبحانه وتعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ونحن نرى الآن أن أحكام السرقة والزنى تم تبديلها وغيرها من الأحكام، ومن قال عن هذا التبديل كفرا دون كفر، فهو محجوج بإجماع العلماء، وهو من أهل الإرجاء (الزعم بأن الحاكم مادام يقول لا إله إلا الله فهو مسلم حتى وإن بدل شرع الله وحكم بغير ما أنزل الله) .

وقد دعم فوزى السعيد حجته بقول الإمام بن حزم " من بدل من شريعة الله شيئا فهو كافر"، ومن أساليب الدفع التى وظفها السعيد فى الرد على أنصار عدم الخروج على مبارك، والذين يسميهم المرجئة قوله: " إن الإرجاء هو الذى غطى على الطواغيت، ووقف فى سبيل محاربتهم والخروج عليهم رغم ماهم عليه من كفر بواح. إن المرجئة أنزلوا الأحكام والإجماعات الخاصة بالخروج على الحاكم المسلم ـ حتى وإن كان فاسقا ـ على الحكام الطواغيت الذين لدينا من الله فيهم برهان على كفرهم، وأول برهان هو تغيير شرع الله وعدم الحكم بما أنزل الله، إن الطاغوت البائد فى مصر لم يدع بابا من أبواب الكفر إلا دخله كل الدخول، ويكفيه هنا تغيير الشرائع، حتى أن ابنه جمال قال ذات مرة فى الجامعة الأمريكية أنه بقدوم عام 2015م لن يوجد مكان للإسلام السياسى فى مصر ـ يعنى انتهاء الإسلام والشرائع ـ ولا يكون إلا فى المساجد فقط ، كما أن الطاغوت الأكبر ـ يقصد مبارك ـ وقّع على أنه بمجىء عام 2015م تكون كل قرارات مؤتمر السكان قد طبقت فى مصر، وهذا منشور فى جريدة الأخبار، وفى أول خطاب له فى مجلس الشعب 2010م قال إنه يريد الدولة المدنية، وهو يقصد أنه لا يريد الدولة الإسلامية وليست الدولة الدينية، وهذا غير خيانته الثابتة للعالمين، كما أعلن مرات ضرورة فصل الدين عن الدولة".

ومن دفوعات السعيد رده على ما يقول به أنصار الفريق الآخر "إن الحاكم ما دام يشهد أن لا إله إلا الله فلا يجب تكفيره، وقد شاهدنا مبارك يصلى فى الأعياد ويقبل المصحف فى بعض المناسبات، فكيف نخرجه من الملة ونحكم بكفره" أنه قال إن دعاة الإرجاء يرددون قول الإمام أحمد والبربهارى "من قال إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد برىء من الإرجاء كله" وبالتالى هم يقولون إن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح، وبعد ذلك ما عندهم من عمل يخرج من الملة، وهم ليس لديهم شىء اسمه الكفر إلا بالقلب. وأضاف أن الإيمان قول وعمل: قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، والخلط فى فهم الإيمان جعل بعض أهل السنة يقولون بأنه يجب طاعة الحكام الطواغيت بحجة أنهم مؤمنين، فالإيمان يزيد وينقص ولا نحكم على كفرهم بظاهر أفعالهم، لأن الإيمان محله القلب، فمهما فعل الحاكم وطعن فى دين الله فلا يُكفر ما دام يقول لا إله إلا الله.

والإيمان على أربعة أشياء: قول القلب أى اعتقاده وقول اللسان الشهادتان، وعمل القلب الانقياد الكامل لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والمحبة وسائر أعمال القلوب الداخلة فى باب الإيمان، وأعمال الجوارح، وإعتقاد القلب ركن إذا انهدم انهدم الإيمان، وكذلك الأمر فى قول الإسلام، وأعمال الجوارح التى إذا إنهدمت إنهدم الإيمان، وهذا هو فهم الإمام أحمد والسلف الصالح؛ فالأركان الأربعة لا يجزئ أحدها عن الآخر، وهذا هو فهم السلف، فالإمام بن تيمية قال من سب اللهَ ورسولَه فقد كفر، سواء كان ذلك باعتقاد قلبى أو عن جهل، وبالتالى فالقول نفسه يخرج من الملة حتى ولو لم يعتقد القلب فيما قال.

وهؤلاء الذين يدافعون عن الحكام الطواغيت لم نسمع منهمْ كلمة واحدة عن فساد الحزب الوطنى ولو من باب إنكار المنكر، ولكننا سمعناهم يقولون إن الثورة المصرية كانت "ابنة زنا" وهو ما يقوله سعيد رسلان وغيره، أى أن الخير الذى يأتى من وراء هذه الثورة حرام، لأنها كانت خروجا على الحاكم. رغم أن هذا لم يكن خروجا إنما أناس اجتمعوا على مظالم لهم فقد حوربوا فى أرزاقهم، وشردوا، وضيق عليهم من كل باب. وظلموا بكل أنواع الظلم فخرجوا يجأرون، فهل كان معهم سلاح، أم أن شعارهم أن الثورة سلمية.

وإذا لم تكن الثورة خروجا مسلحا على الحاكم المسلم، فما بالنا أنها لم تكن خروجا مسلحا على الحاكم الطاغية الذى ظهر لديه الكفر البواح، لأنه لم تتوافر فيه أبعاد الإيمان الأربعة، فقد قال النووى: قال القاضى عياض: "أجمع العلماء أن الإمامة لا تنعقد لكافر، ولو طرأ عليه الكفر انعزل، وكذا لو ترك الصلاة والدعاء إليها"، وكذلك عند جمهورهم البدعة أى لو ابتدع فى الدين، قال القاضى عياض: "فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته ووجب

على المسلمين القيام بخلعه، ورسّم إمام عادل إن أمكنهم ذلك. فإن عجز المسلم عن خلعه وجب عليه أن يهاجر عن هذه الأرض"، قال بن حجر: "فإن كان الإمام مسلما، وأحدث جورا، فإن الصحيح المنع، إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه"، وقال أيضا "ينعزل بالكفر إجماعا، فمن قوى على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة".

ومن المقيدات "Qualifiers" التى أسهب الشيخ فوزى السعيد فى استخدامها للتأكيد على قوة حجته كثرة استعماله (إن) لتوكيد ما يقوله من كلام مثل: إن الطاغوت البائد فى مصر لم يدع بابا من أبواب الكفر إلا دخله كل الدخول.... إن تبديل الشرائع كفر أكبر مخرج عن الملة... إن الإرجاء هو الذى غطى على الطواغيت، وكذلك أسلوب القصر القائم على النفى والإثبات مثل قوله: رغم أن هذا لم يكن خروجا إنما أناس اجتمعوا على مظالم، وذلك لتوكيد حججه خاصة أنه ممن يكفرون من لم يحكم بشرع الله، وهى قضية أثارت جدلا كبيرا فى صدر الإسلام، وخرج بسببها فرقة على إجماع المسلمين عرفت باسم الخوارج، ولا يزال هناك جدل كبير بشأن قضية الحاكمية بين علماء المسلمين.

ومن الضمانات "Warrants" التى استعان بها أصحاب هذا الخطاب للتأكيد على جور الحاكم هى: أن الحاكم حكم بغير ما أنزل الله، واستعان بالكفار ووالاهم وأعانهم على المسلمين، وأمات الجهاد، وسجن الدعاة، وأذن بالربا وحماه، وفرض المكوس والضرائب، وأضاع أموال الدولة.

ومن أساليب العون "Backing" التى استند إليها أصحاب هذا الخطاب ما ذكره الشيخ الألبانى رحمه الله من أن "كلمة مخالفة ولى الأمر أصبحت تستغل بشكل خاطىء هذه الأيام على ألسنة كثير من الدعاة، وأنا أقول معهم لايجوز مخالفة ولى الأمر لكن ما صفة هذا الولى؟ هم الذين ينطلقون فى حكمهم لأمتهم ولشعبهم على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان الخلفاء الراشدون ومن سار بسيرهم من بعض الملوك الذين جاءوا من بعدهم، هؤلاء الحكام الذين يضعون تطبيق شرع الله نصب أعينهم، أما الذين يحكمون بالقوانين الوضعية المتغيرة فهؤلاء ليسوا ولاة أمر بالمفهوم الشرعى"[٧٢] وما ذكره الشيخ يونس مخيون "نحن نتعامل وفقا لنظام جمهورى وبين الشعب والحاكم دستور بشرى، وهو بمثابة العقد، ورئيس الجمهورية له مدة محددة فى الحكم، وبالتالى فالرئيس هنا ليس له حكم الإمام الذى لا ينبغى الخروج عليه، فنحن هنا أمام رئيس جمهورية ولسنا أمام أمير للمؤمنين، لأن الإمام أو الأمير هو الذى يطبق الشريعة ويحمى الثغور، ويقيم الحدود، وبالتالى نحن أمام رئيس منتخب وقد أقر الدستور الذى بيننا وبينه على حق التظاهر السلمى، والثورات ما دامت سلمية، فليس هناك خروج عن الشرعية"[٧٣].

٤- الثورات والمظاهرات والمسيرات من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أكد أصحاب الفريق المؤيد للثورات أنه من المعلوم فى الشرع أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة على كل مسلم مكلف ـ كل بحسبه ـ رجلا كان أو امرأة، فيجب على العالم وطالب العلم ما لا يجب على العامى، ومن لا يعلم. وهم يرون أن الثورة من الوسائل التى ينظر فيها إلى المآلات ، فالوقوع دليل الجواز، ومعنى ذلك أن المظاهرات إذا وقعت وآتت ثمارها كان ذلك دليل جوازها، إذ لا نصّ بالمنع بل هى من الوسائل التى يُنظر فيها إلى المآلات، وهى وسيلة لإنكار المنكرات فى النظام والوسائل لإنكار المنكر ليست توقيفية. ولذلك، فإن عمومات إنكار المنكر بالقول والفعل لم تحدد كيفية أو هيئة معينة، كما أن هيئة الإنكار بطريقة المظاهرات واردة فى كلام الإمام أحمد، وابن الجوزى، وغيرهما. وبناء على ذلك، لا تعد المظاهرات خروجا، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللسان وهو جائز بلا خلاف.

والإنكار على الحاكم باللسان مشروع، أى لا يعد خروجا كما هو متواتر مشهور من أحوال السلف فى الإنكار على ولاة الأمر سرا وعلانية، لأن النصوص لم تقيد هذا الإنكار بكونه سرا أو غير ذلك، كما أن النصوص لم تحدد هيئة أو كيفية معينة للإنكار باللسان. وذكر الداعية فاضل سليمان "أن ثورة ٢٥ يناير هى ثورة شرعية حيث كانت ثورة سلمية ـ أى من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ وأن شهداءها ليسوا شهداء فقط بل هم سادة الشهداء"[٧٤] ومن أساليب العون "Backing" التى وظفها فاضل سليمان لدعم هذه الحجة هى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ـ أى بالمعروف ـ ، ونهاه ـ أى عن المنكر ـ فقتله".

وقد استدل أصحاب هذا الخطاب ببعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كنوع من الدعم لحجتهم المتعلقة بأن المظاهرات السلمية لون من ألوان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منها أن جميع آيات وأحاديث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كلها أدلة للمظاهرات السلمية، كقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله....)آل عمران: 110وقوله، صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

ومما تجدر الإشارة إليه أن الثورة ليست دربا من دروب الإصلاح بل هى أداة لتغيير منكر وإزالته، ويدخل فى هذا الباب أيضا المظاهرات والمسيرات والاعتصامات والإضرابات فكل هذه الأصناف ليست من قبيل العملية الإصلاحية التى تأخذ وقتا طويلا، إنما هى حل فورى لإزالة منكر واقع سواء كان منكرا فى الدين أو الدنيا .

٥- تغيير أئمة الجور، وبناء الأحزاب الإسلامية والمشاركة فى البرلمان كطريق إلى الإصلاح وتطبيق شرع الله

يرى أصحاب هذا التوجه أن الوصول إلى تطبيق شرع الله يعتمد إلى حد كبير على البدء من أعلى، لا كما يظن المداخلة (أنصار الفريق المعارض للثورة) أن إصلاح القاعدة الشعبية هو الطريق الموصل لتطبيق الشريعة، ومن الدفوعات "Rebuttals" التى وظفوها للرد على المداخلة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام الملوك والحكام وذلك بمراسلتهم ودعوتهم إلى الإسلام، حتى أن نص الرسائل كان يوجه إلى شخص الحاكم دون شعبه. كما استدلوا بقول الله تبارك وتعالى: ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل 67 ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (68 الأحزاب) على تأثير الحكام فى الرعية، سواء بالخير أو بالشر، وقول عثمان رضى الله عنه "إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن" وهذا يؤكد أن الإصلاح يبدأ من أعلى فلو كان الحاكم فاسدا، سيطغى أثر فساده على صلاح الناس، لكن لو صلح الحاكم فسيظهر أثر صلاحه على المجتمع حتى لو فسد الناس، ولنا فى ملكة سبأ التى صلحت وصلح رأيها كيف بصلاحها أنقذت شعبها فى الدنيا والآخرة .

كما أن الأنبياء كإبراهيم عليه السلام توجه إلى النمرود بدعوته ،وموسى وأخيه هارون أرسلهما الله إلى فرعون فقال سبحانه وتعالى لهما: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى آية). وهو ما يشير إلى أهمية الإصلاح والتغيير من أعلى، فكم حرص رجال أمن الدولة على متابعة من ينزلون إلى المساجد فى صلاة الفجر، أو يعفون لحاهم، ففساد الحاكم ترتب عليه فساد دين الرعية.

ومن الضمانات (وهى التى تربط بين الفكرة الرئيسية للخطاب وبين أسباب ومبررات دعمها أو تأييدها، أو بمعنى آخر ما الذى يدعو هذا الخطاب لتعهد وضمان تنفيذ ما جاء فى الخطاب من أفكار وموضوعات، فهى عبارة عن الكفالات والرخص المتمثلة فى المعتقدات السائدة والقيم والآراء المشتركة والرؤى الثقافية والاجتماعية المتعارف عليها، وهى التى تؤكد أو تعبر ضمنا عن الحجة) التى ارتكز منتجو الخطاب الدينى إليها فى دعم حجتهم المتعلقة بشرعية ثورة 25يناير قولهم بأن المظاهرات كانت للمطالبة بالحقوق المشروعة والمطالب العادلة ورفع الظلم، ففى الوقت الذى يجوع فيه الشعب، نرى الحكام يسرقون أموالهم وليتهم يستثمرونها بالداخل بل يكدسونها فى بنوك الغرب لينتفعوا بها وبعضهم لا يأخذ فوائد عن هذه الأموال بحجة أن الفائدة ربا، لكن سرقة أموال الشعب وتجويعه لا شىء فيها!، وهذا من تفكيرهم المغلوط، وهذا ما أكده الشيخ محمد حسان بقوله: "هؤلاء الشباب الذين ما خرجوا إلا للمطالبة بالحرية والديمقراطية والعيش الكريم ومن أجل المطالبة بهذه المطالب المشروعة"(٧٥). وما أكده الشيخ يوسف القرضاوى، بأن مبارك سرق الناس وعذبهم حتى الموت، وواجب رجال الدين أن يقفوا مع من يطالب بالحق، وليس مع من تجبر على الناس(٧٦).

وأكد الشيخ أسامة القوصى نفس المعنى بقوله: "الحاكم، بل الحكومة التى تقتل شعبها تفقد شرعيتها، وضرب مثلا بالصحابى الذى أمَّره الرسول صلى الله عليه وسلم فى سَرِيَّة، ثم أمرهم أن يوقدوا نارا، وقال لهم ألست أميرا عليكم ولى عليكم السمع والطاعة، قالوا نعم فأمرهم أن يدخلوا فى النار، فرفضوا ولما بلغ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لإن دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، ويفهم من ذلك أن الإمارة ليست لقتل الناس والتسلط عليهم"(٧٧).

ومن أساليب العون التى وظفها أصحاب هذا الخطاب (وهى الدلائل التى يقدمها منتج الخطاب لكى يجعل الطرح أو الفكرة

الرئيسية أكثر قبولا ومصداقية، خاصة إذا كانت الضمانات غير كافية فى مساندة الحجج والمبررات التى يسوقها منتج الخطاب لدعم الفكرة الرئيسية، والتى منها الإشارة إلى النصوص القانونية المساندة لفكرة الخطاب) قولهم بأن المظاهرات تمت بإذن الحاكم، فقد ذكر الشيخ محمد عبد المقصود أنه "طالما أقر النظام بأن المظاهرات مشروعة وسلمية فلا يمكن لأحد أن يزايد عليها، فيدعى أنها خروج غير مشروع. تلك دعوى لا يسمع لها، لكن القوم ملكيون أكثر من الملك، فالحاكم هو الذى أذن بالمظاهرات وفقا للدستور ووفقا للمواثيق الدولية"(٧٨)، وأكد الشيخ مصطفى العدوى على هذا المعنى بقوله: " أن الحاكم هو الذى رخص للشعب بحق التظاهر السلمى، ودساتيرهم رخصت لهم فى ذلك، وبالتالى فالجماهير لم تخرج عن حدود العقد بين الحاكم والمحكوم"(٧٩).

وقد وظف أصحاب هذا الخطاب بعض المقيدات وهى العبارات أو الكلمات التى يستخدمها منتج الخطاب لتعبر عن درجة تثبته من قوة فكرته الرئيسية من عدمه، ومن هذه التعبيرات: توظيف أسلوب (ما .... إلا...)، كما هو فى قول الشيخ محمد حسان السابق "ما خرجوا إلا للمطالبة بالحرية والديمقراطية" للتأكيد على أن هذا الخروج مشروع، فهو لمطالب عادلة، ولا يهدف إلى التخريب أو البلطجة، وكذلك توظيف مفردات (طالما .... فلا يمكن ..... لكن..) كما ورد بقول الشيخ محمد عبد المقصود "طالما أقر النظام بأن المظاهرات مشروعة وسلمية فلا يمكن لأحد أن يزايد عليها، فيدعى أنها خروج غير مشروع. تلك دعوى لا يسمع لها، لكن القوم ملكيون أكثر من الملك".

ولم يوظف خطاب السلفيين المؤيد للثورة فى إطار الأطروحة المتعلقة بشرعية ثورة ٢٥ يناير أية دفوع تتعلق بمعارضة الخطاب من داخله كأن يطرح آراء معارضة للفكرة الرئيسية للخطاب ويحاول تفنيدها وذلك لدعم فكرته الرئيسية التى يسعى لإقناع الآخرين بها، ولكنه أشار إلى تحفظ خطاب السلفية المدخلية المعارض للثورة والذى يرى أنها بدعة محرمة، ومن ردودهم على المداخلة فى هذا التحفظ ما ذكره الشيخ محمد عبد المقصود أنه لا يوجد دليل على تحريم الثورات السلمية، وأن من يُحرِّم المظاهرات من علماء الإسلام وطلاب العلم يدخل فى قول الله تعالى: (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ) النحل: آية 116(٨٠).

وقد لاحظ الباحث أن أنصار هذا التيار حرصوا على توظيف استراتيجية الإثبات طوال الوقت، حيث إن فقه الواقع يستلزم قراءة الواقع بشكل جيد، ثم إصدار الأحكام التى توائم هذا الواقع فى ضوء الكتاب والسنة، وإن كانوا يلجأون إلى توظيف استرتيجية الدحض للرد على الخطاب المعارض لهم من السلفية المدخلية، كما أشرنا إلى ردهم على من قال إن ثورة ٢٥ يناير من البدع المحرمة.

ثانيا: الخطاب الرافض لشرعية ثورة ٢٥ يناير

انطلق أصحاب الفريق الرافض لشرعية ثورة 25يناير من أطروحة" Claim / Thesis" أن الثورات السلمية غير شرعية وهى من الفتن المحرمات"، وقد استدلوا على ذلك بالحجج التالية:

١- المظاهرات والمسيرات من البدع

يرى أصحاب هذا الفريق أن المشروع ما شرعه الله فى كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس فى القرآن ولا فى السنة نصٌ يدل على مشروعية المظاهرات كوسيلة للدعوة ولإنكار المنكر، وحيث لم يكن فى القرآن ولا فى السنة نصٌ يدل على مشروعية المظاهرات كوسيلة للدعوة ولإنكار المنكر، فإن دعوى مشروعيتها كوسيلة للدعوة ولإنكار المنكر دعوى باطلة مردودة.

وقد ذكر الشيخ على حشيش: "إن دين الإسلام دين هدوء ورحمة لا فوضى، وليس دين إثارة أو تخريب، والمظاهرات تحدث سفك دماء"(٨١)، وذكر الشيخ هشام البيلى: "إن من أصول السنة الصبر والنصح لأولياء الأمور سرا وعدم الخروج عليهم بشكل علنى سواء بالسلاح أو باللسان، وهو الثابت فى كتب أهل السنة، حيث إن الصبر على جور الحكام من الدين والنصح لهم من الدين ، فإن نحن أقمنا الدين فإن الله الذى يملك قلوب السلاطين قادر على إصلاح حالهم أو أخذهم"، وذكر الشيخ على الوصيفى: "إن الخروج الذى هو بدعة يكون بالسلاح أو باللسان، ومن المعروف أن أول خروج كان باللسان وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما قال الأعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوزع الغنائم اعدل يا محمد فليس هذه القسمة أريد بها وجه الله"(٨٢) ، فقد ورد "أَنَّ "أَبَا سَعِيد الْخُدْرِيَّ ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ،وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ،فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ. فَقَالَ: "وَيْحَكَ! وَمَنْ

يَعْدِلْ إِذًا لَمْ أَعْدِلْ، فَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ". فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعْهُ ،فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ ،فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ". قَالَ أَبُو سَعِيد : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب قَاتَلَهُمْ - بعد توليه الخلافة - وَأَنَا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ فإذا هو عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ"، ومن الضمانات "Warrants" التى ساقها الشيخ البيلى قوله: "إننا إذا أقررنا بالخروج اليوم، سنجد كل يوم من يخرج إلى الميدان من لم يعجبه السلطان، وحيث إنه لا يوجد إجماع مطلق على أى سلطان قادم فسنكون فى حالة خروج دائم وسوف تتعطل مصالح الأمة، وتسفك الدماء، وهذا كله ليس من دين الله"(٨٣).

ومن الضمانات التى ساقوها لتأكيد حجتهم أن المظاهرات من البدع ، قول الشيخ على حشيش: "لو كان فى المظاهرات خيرا لسبقنا إليها الصحابة رضى الله عنهم"(٨٤)، بل هذه المظاهرات إنما هى أعمال جاهلية، ما أنزل الله بها من سلطان، بل نصرة الحق بالدعوة إليه، وتأييد من قام به، بما لا يترتب عليه منكر أكبر، وبيان أن أجل الأمور وأعلاها قدرا: الاكتفاء بسنة المختار صلى الله عليه وسلم بكل أمر، ثم إن المظاهرات لا عقل لها، يحصل بها تدمير وإفساد، ربما جرت إلى القمع من الجهات الأخرى والإذلال، وربما إلى سفك الدماء وانتهاك الحُرمات، ومن الضمانات أيضا قولهم إن كل طريقة تُسلك لم تكن مما سنَّ النبى والخلفاء الراشدون تؤدى إلى الدمار والفساد، وخير الهدى ما سرت عليه الأمة، ولن يصلح آخر الأمة إلا ما أصلح أولها".

ومن الدفوع "Rebuttals" التى استعان بها أصحاب هذا الخطاب للرد على أصحاب الخطاب السلفى المؤيد لشرعية الثورة، قولهم إن دعوى مشروعية المظاهرات كوسيلة للدعوة ولإنكار المنكر تقتضى إدخالها فى الدين الذى أكمله الله لعباده ورضيه لهم، وهذا من الزيادة فى الدين والشرع فيه بما لم يأذن به الله، وقد ورد الوعيد الشديد على هذا والنص على أنه من الظلم، قال تعالى: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ الشورى: .(21

ومن الدفوع "Rebuttals" أيضا قولهم أن دعوى مشروعية المظاهرات كوسيلة للدعوة ولإنكار المنكر تتضمن الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه بأنهم أهملوا أمرا من الأمور المشروعة فى دعوة الناس، وإنكار المنكر، فلم يعملوا به ولم يرشدوا الناس إليه، وما أعظم الخطر فى الأمور التى تتضمن الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه.

وهذا الأمر - وهو شمولية الوسائل الشرعية - فى غاية الظهور والوضوح لمن تأمل النصوص الشرعية، ونظر فى السير السلفية، فلَكَمْ أسلم بسببها من كافر، وتاب بها من فاسق، واهتدى بها من ضالٍّ، واسترشد بها من غاوٍ. وإنما يهزل المسلمون، ويضعفون إذا كانت الوسائل البدعية، هى السائدة بينهم، لأن هذه الوسائل لا تُخرج إلا منحرف المعتقد، ضعيف الإيمان، متلطخا بأوضار البدع.

وهذه الوسائل البدعية إنما يصار إليها عند ضعف التمسك بآثار النبوة، فإنه كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم، عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك، وإذا تعلقت القلوب بهذه البدع فإنها تحجب عن السنن بحيث لا ترى فيها ما تراه فى تلك المحدثات، ومن ثَم تزهد فيها، وترغب عنها.

وصاحب البدعة هو من يُطلب منه بأن يأتى بالدليل على ما قام به وأقدم عليه، ولا يطلب صاحب البدعة الدليل على من حكم على البدعة بحرمتها؛ إذ التحريم هو وصف ملازم للبدعة لا ينفك عنها، لقول النبى صلى الله عليه وسلم: »فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة" أخرجه أحمد.

٢- الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة

يرى أنصار عدم الخروج أن من يدعى أن الذى حدث فى مصر لا يتعلق به حكم شرعى، ادعاؤه ادعاء باطل، لأن الذى حدث فى مصر إنما يتعلق بأصل من أصول أهل السنة والجماعة، وهو أصل الصبر على جور الأئمة، وترك الخروج عليهم وقتالهم، ولقد استفاضت الآثار عن النبى صلى الله عليه

وسلم وعن السلف الصالح فى هذا الأصل العظيم من أصول أهل السنة والجماعة، ونصٌ عليه أئمة السنة فى مصنفاتهم، بحيث لا يكاد يخلو مصنف من مصنفاتهم فى الاعتقاد والمنهج إلا نص على هذا الأصل العظيم من أصول أهل السنة والجماعة، فعُلم من ذلك أن هذا الباب ـ كيفية معاملة الحكام ـ باب عظيم، وأصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة، وليس من باب العادات التى لا يتعلق بها حكم شرعى. فمن أجل تلك العلل أفتى العلماء الراسخون المجتهدون بتحريم المظاهرات والثورات التى وقعت من قبل فى الماضى، والمنع منها وحذروا منها تحذيرا شديدا.

ومن الضمانات التى وظفها أصحاب هذا الخطاب فى رفض الخروج على الحاكم، هو أن الشيعة الروافض واليهود يتربصون بالأمة، وفى حالة الخروج ستعم الفوضى، والمستفيد منها هم أعداء الأمة.

ومن أساليب العون التى وظفها أصحاب هذا الخطاب لتأكيد حجة الصبر على جور الحكام ما ذكره الشيخ سعيد رسلان: "إننا أمرنا بالصبر على جور الحكام حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، فالإمام أحمد لم يخرج على الواثق ـ رغم أنه كان يأتى بأعمال كفرية بقتله العلماء الذين يرفضون القول بقول الجهم بن صفوان بخلق القرآن ـ فأيهما أشد حسنى مبارك أم الواثق؟، والإمام أحمد رفض طلب العلماء بالخروج على الحاكم منعا للفتنة العامة، حتى لا تقطع السبل أو تهتك الأعراض وغير ذلك من المفاسد، ولما صبرت الأمة واستمعت لكلام الإمام أحمد، سرعان ما مات الواثق ووليه الخليفة المتوكل الذى نصر السنة، ورفع الكرب عن الأمة ونحن نقول للناس اتقوا الله ولا تدخلوا الأمة فى الفوضى ولا تحركوا القاعدة الشعبية ولاتعرضوا الناس للظلم بقولكم إن الثورة من الدين، إن العوام إذا خرجوا لايمكن أن ينقمعوا"[٨٥].

ومن أساليب العون أيضا ما ذكره الشيخ هشام البيلى من "أننا أمرنا بالصبر والنصح وليس التخاذل، بمعنى أننا أمرنا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكن بالطرق المشروعة، فقد سأل الصحابة سيدنا أسامة أن يكلم سيدنا عثمان رضى الله عنه فى الأمور التى أخذها عليه بعض الرعية، فقال لهم إنى أكلمه بينى وبينه، ولا أكلمه على العموم حتى لا أفتح بابا من الشر أكون أنا أول من فتحه"[٨٦]، ومن أساليب دعم حجتهم نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الخروج على أئمة الجور، بقوله عليه الصلاة والسلام: مَن كَرِه من أميره شيئا فليصبر، فإنه مَن خَرج من السلطان شِبْرًا مَات ميتة جاهلية. رواه البخارى.

ومن دفوعاتهم "Rebuttals" ما ذكره الشيخ محمود حسين عوض عن حديث "وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" فقال إن كان الدارقطنى ضعفه وهو من متابعات مسلم وأعله بحجة أن أبا سلام لم يسمع من حذيفة، فقد ثبت أن الحديث جاء بطرق أخرى غير أبى سلام فجاء عن عبادة وجاء عن عمر، وجاء عن عبد الرحمن بن صخر ولكن بدون قوله " وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" بل جاء عند أحمد "وإن نهك جسمك" وهو صحيح كما قال محقق المسند[٨٧].

ومن أساليب الدفع أيضا قول الشيخ هشام البيلى"إن نهج السلف هو الاتباع، فالنبى صلى الله عليه وسلم أوضح لنا أن الأمة سوف تتعرض لفتن عظيمة وشخَّص لنا الدواء ومن هذه الفتن جور الحكام وأمرنا بالصبر على جور الحكام الذى هو الطريق إلى التمكين"[٨٨].

٣- مبارك كان حاكما شرعيا للبلاد

أكد أصحاب هذا الخطاب أن مبررات التكفيريين فى تكفير مبارك وغيره من حكام المسلمين أنهم ارتكبوا أمورا جعلوها من المكفرات وهى فى أصلها من المعاصى منها: أن الحاكم حكم بغير ما أنزل الله، واستعان بالكفار ووالاهم وأعانهم على المسلمين، وأمات الجهاد، وسجن الدعاة، وأذن بالربا وحماه، وفرض المكوس والضرائب، وأضاع أموال الدولة، وهذه الشبهات وغيرها قد رد عليها أهل العلم من أهل السنة وبينوا أنها فى أصلها من جنس المعاصى لا من الكفر الأكبر. وما دام مبارك لم يظهر الكفر البواح الذى عندنا فيه من الله برهان، فلا يجوز الخروج عليه. وقد أكد أصحاب هذا الخطاب على أنهم لا ينكرون ما كان واقعا من ظلم وجور وفساد ولكن لا يعنى ذلك أن نتجاوز الحد فنجعل تلك المعاصى والظلم تصل إلى حد الكفر الأكبر بل وإلى تكفير الشخص على التعيين.

ومن المقيدات "Qualifiers" التى استخدمها أصحاب هذا الخطاب أسلوب "نعم ... ولكن..." ضمن استراتيجية الدحض، وذلك لدحض حجج الخصم بإظهار أنها خاطئة أو ضعيفة، فقد ذكروا "إننا لو سلمنا جدلا أن الحاكم السابق قد صدر منه بعض الأمور المكفرة، فهذا لا يعنى تكفيره على التعيين، فإنه من المعلوم من مذهب أهل السنة والجماعة أن هناك فرقا بين

الكفر على الإطلاق، والكفر على التعيين؛ فليس كل من يقع فى الكفر يكون كافرا، إذ قد يوجد فيه ما يمنع من تكفيره على التعيين، ومن القواعد الأصولية «اليقين لا يزول بالشك ؟»فلا نخرج من الإسلام مسلما بيقين من أجل كفر ظنى محتمل، فلا يكفر المسلم بيقين إذا وقع فى الكفر حتى تقام عليه الحجة، بحيث تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفى عنه موانعه".

ومن أساليب العون "Backing" التى وظفوها هنا قول شيخ الإسلام بن تيمية: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة". وقوله أيضا :"ولا ينبغى أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغى أن يدرك قطعا فى كل مقام بل التكفير حكم شرعى يرجع إلى إباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود فى النار، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية، فتارة يدرك بيقين وتارة يدرك بظن غالب وتارة يتردد فيه. ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل".

ونلاحظ هنا التباين الشديد بين غلاة المتشددين من رموز الفريقين، ففى الوقت الذى برهن فيه بعض رموز "السلفية السرورية" على كفر "الرئيس المخلوع مبارك" وفقا لرؤيتهم لقضية الحاكمية، فإن غلاة المتشددين من أنصار "السلفية المدخلية" زعموا أن مبارك ليس الرئيس الشرعى للبلاد فقط، بل هو أمير المؤمنين، وكان القيادى السلفى، محمود لطفى عامر، قد دعا المسلمين لـ"مبايعة" الرئيس المخلوع حسنى مبارك باعتباره "أميرا للمؤمنين"، كما أفتى بجواز توريث مبارك الحكم لابنه، وأثارت إحدى فتاويه جدلا كبيرا عندما أفتى بإهدار دم د. محمد البرادعى وقال إن عليه أن يعلن توبته بسبب معارضته لمبارك "وإلا جاز لولى الأمر أن يسجنه أو يقتله درءا لفتنته حتى لا يستفحل الأمر"(٨٩).

٤- المظاهرات والمسيرات من السنن التَّركية

ويرى أصحاب هذا الفريق أن المظاهرات متعلقة بنوع من أنواع السنة، وهى "السنة التَّركية"، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد ترك القيام بهذه المظاهرات، وغيرها على المشركين من قريش مع "وجود المقتضى" وهو إزالة الظلم وجلب الحقوق ومع "انتفاء المانع"، فلمَّا لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم مع وجود المقتضى وانتفاء المانع، صار هذا الترك سُنَّة، وهو ما يسمَّى بـ"السنة التَّركية"، فمن جاء بعده وفعل ذلك الأمر الذى تركه النبى صلى الله عليه وسلم مع وجود المقتضى وانتفاء المانع، صار مرتكبا لبدعة هى فى مقابل "السنة التركية".

٥- إنكار المنكر على الحكام باللسان يكون فى السر وليس فى العلن

وقد دعموا "Backed" هذه الحجة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذى عليه له" وما قاله الشيخ الألبانى: "بعدم المجاهرة بالإنكار على الأمراء فى الملأ، لأن فى الإنكار جهارا ما يخشى عاقبته، كما اتفق فى الإنكار على عثمان جهارا، إذ نشأ عنه قتله". وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "أيتها الرعية إن عليكم حقًا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير".

ومن الدفوع " "Rebuttals التى استخدموها فى الرد على كلام الشيخ الحوينى بأن ما حدث فى مصر ليس ثورة ولا ينبغى القياس عليه قولهم: "من المعلوم الذى لا خلاف فيه أن هذه الأحداث التى وقعت فى مصر هى من باب (المظاهرات والثورات)، وليس من اللازم أن تكون الصورة الواقعة فى الحاضر مطابقة للصور التى وقعت فى الماضى من كل وجه عند القياس، وما قاله الشيخ أبو إسحاق الحوينى لا علاقة له بالعلم الشرعى من قريب أو بعيد، وإنما هو من باب السفسطة والفلسفة لأن تحريم الخروج أو المظاهرات أو الثورات لم يأت معلقا فى النصوص الشرعية، ولا فى كلام العلماء على هذه العلة (عدم وجود رأس للثورة)، لأن هذه العلة علة عليلة مريضة لا أثر لها فى الحكم على تلك الأعمال من المظاهرات أو الثورات، فهذا لا أثر له فى الحكم الشرعى ما دامت العلة التى من أجلها حرم العلماء المظاهرات والثورات، والتى هى من أركان القياس الصحيح قد تحققت فى هذه المظاهرات والثورات. ومن هذه العلل التى من أجلها حرم علماء السنة المظاهرات والثورات: علة الابتداع، وعلة مشابهة الكافرين، وعلة الخروج على الحاكم، وعلة عدم الصبر على جور وفسق الحاكم، وعلة المخالفات التى تقع فيها، وعلة المفاسد التى تنتج عنها.

ومن الدفوع التى استخدموها أيضا للرد على أنصار شرعية الثورة قولهم بوقوع المنكرات أثناء قيام ثورة 25يناير، ففى الوقت الذى ادعى فيه أصحاب الفريق الأول بأن الثورة من باب

إنكار المنكر على الحاكم، إلا أنها وقع أثناءها العديد من المنكرات مثل: ترك الصلاة، واختلاط الرجال بالنساء، وحمل المصحف مع الصليب، ونوم البنات مع الشباب فى العراء، وتعطيل المرافق وقطع الطرقات، وخروج النساء السافرات المتبرجات وسط الشباب. وأكدوا أن منّ الذين كانوا فى الميدان ولم ينكروا ذلك الشيخ محمد عبد المقصود وهو من أنصار فريق شرعية الثورة، فقد حكم من عدة سنوات بالكفر على كل من شارك فى مسلسل "أوان الورد" من أجل أنه رفع فيه "مصحف" مع "صليب"، فكفّر كل من شارك فيه من الممثلين والمصورين والمنتج والمخرج.

ومن الدفوع التى استخدموها أيضا للرد على ما قاله أنصار الفريق الأول من "أن الوقوع دليل الجواز" حيث قالوا إن هذه القاعدة فى هذا الموضع قاعدة بدعية وليست بقاعدة شرعية، فإنها تفتح الباب على مصراعيه لكل منحرف ومبتدع ليتجرأ على محارم الله بحجة النتائج، فالسياحة مثلا تجلب العملة الصعبة التى تنفع البلاد، لكنها قائمة على تقديم الخمور والاختلاط وغيرها من المحرمات.

وقد وظف أصحاب هذا الخطاب بعض الآيات القرآنية الكريمة، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال بعض العلماء التى تدعم رؤيتهم والتى منها: قول الله تعالى

وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ النساء

ومما استشهدوا به أيضا قول ابن تيمية: من العلم والعدل المأمور به الصبر على ظلم الأئمة وجورهم كما هو من أصول أهل السنة والجماعة، وكما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث المشهورة عنه". وقول الشيخ عبد العزيز بن باز: "لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج، ولكنها من أسباب الفتن، ومن أسباب الشرور، ومن أسباب ظلم بعض الناس، والتعدى على بعض الناس بغير حق". ومن فتاوى بن باز أيضا أن: «النبى صلى الله عليه وسلم مكث فى مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات، ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم . وقوله أيضا: " إن الخليفة المأمون قتل من العلماء الذين لم يقولوا بقوله فى خَلْق القرآن، قتل جمعا من العلماء، وأجبر الناس على أن يقولوا بهذا القول الباطل، ما سمعنا عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أن أحدا منهم اعتصم فى أى مسجد أبدا".

وقول الألبانى: "أنا أقول شيئا آخر بالإضافة إلى أن التظاهر ظاهرة فيها تقليد للكفار فى أساليب استنكارهم لبعض القوانين التى تفرض عليهم من حكامهم، أضيف إلى ذلك شيئًا آخر ألا وهو: هذه التظاهرات الأوربية، ثم التقليدية من المسلمين، ليست وسيلة شرعية لإصلاح الحكم، وبالتالى إصلاح المجتمع".

وقول الشيخ مُقبل الوادعى: "المظاهرات بدعة، كما أن الآيات القرآنية تدل على أن التظاهر يكون على الشر، (وكان الكافر على ربّه ظهيرا) الفرقان: آية 9 وهى نعرة جاهلية اقتدى المسلمون بأعداء الإسلام، وصدق الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" وإننى أحمد الله عزوجل فما تجد سنيًا يحمل لواء هذه المظاهرة، ولا يدعو إلى هذه المظاهرات إلا الهمج الرعاع".

وقد اعتمد أصحاب الخطاب السلفى المدخلى على توظيف استراتيجية الدحض (وتعتمد على دحض حجج الخصم بإظهار أنها خاطئة أوضعيفة، ومواجهة الخصم بحجة مضادة) فى معظم الوقت فى تأكيدهم على عدم شرعية ثورة 25يناير، فقد انصب جل جهدهم على دحض حجج الخصم، ومحاولة إظهار التفوق عليهم، كما وظفوا استراتيجية السجال وإن كان ذلك بشكل محدود (وهى التى تعتمد على الاستدلال بالخلف بإظهار السخافات المترتبة عن الموقف المضاد، وكذلك السخرية لإعاقة تبنى موقف الخصم ليسهل تدميره وتحقيره) وقد ظهر ذلك فى قولهم أن من يقول إن الثورة السلمية شرعية طالما مآلاتها جيدة وهى جلب المنافع وتغيير الحاكم الظالم، وبالتالى فإنه يمكن القياس على ذلك أو الإستدلال بالخلف والقول بأن السياحة حلال ما دامت تجلب العملة الصعبة، رغم ما تستلزمه من بيع الخمور والعرى واختلاط الشباب المسلم بالأجنبيات وغيرها من المنكرات، وكذلك سخريتهم من أنصار هذا الفريق حينما قالوا إن المظاهرات من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حيث قالوا إنه من الأمور المؤسفة أن يصدر مثل هذا الجهل والخلط من أُناس ينتسبون إلى المنهج السلفى ــ زورًا وبهتانًا ــ وهم لا يعرفون أبسط قاعدة من قواعد البدعة، وهى أنها إحداث فى الدين بلا دليل.

٦- الإصلاح لا يكون من أعلى فكما تكونوا يولى عليكم

يرى المداخلة أن أغلب الدعاة الذين يروجون للخروج على الحكام يهتمون بالسياسة والجهاد، والصراعات البرلمانية، والتسابق إلى المجالس النيابية، وقد جعلوا ديدنهم التوسع فى ذكر مثالب الحكام، وكادوا يجمعون على أن توعية الشعوب بمخاطر حكامهم هى السبيل لقطع الجسور الممدودة إليهم، ومن ثم الانقلاب عليهم، كأن الشعوب قد وضعت رحالها بالجنة، وما بقى من يعوق مسيرتهم إلا أمراؤهم، فلذلك تسابقوا إلى تنحيتهم.

ويؤمن أصحاب هذا التوجه بأن حكام الأمة من أعمالها، فإن كانوا صالحين تولى أمرهم الصالحون، وإن كانوا فاسدين تولى أمرهم الجبارون. ومن الضمانات التى ساقوها قول الله تبارك وتعالى: (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا)الأنعام: (129وكان يقال : ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك، وقد استدلوا بما قاله الإمام الطرطوشى:" لم أزل أسمع الناس يقولون: أعمالكم عمالكم، كما تكونوا يولى عليكم، إلى أن ظفرت بهذا المعنى فى القرآن، قال الله تعالى: (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا)الأنعام: (129 وكان يُقال: ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك. وقال عبد الملك بن مروان: ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرتهما، نسأل الله أن يعين كلا على كل. وقال قتادة: قالت بنو إسرائيل: إلهنا أنت فى السماء ونحن فى الأرض فكيف نعرف رضاك من سخطك؟ فأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائهم: إذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم، وإذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم. وقال عبيدة السلمانى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: يا أمير المؤمنين ما بال أبى بكر وعمر انطاع الناس لهما، والدنيا عليهما أضيق من شبر فاتسعت عليهما وولیت أنت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لكما، وقد اتسعت فصارت عليكما أضيق من شبر؟ فقال: لأن رعية أبى بكر وعمر كانوا مثلى ومثل عثمان، ورعيتى أنا اليوم مثلك وشبهك"(٩٠).

وقد ذكر الشيخ عادل السيد(٩١)"أن الإصلاح لا يبدأ من الرأس، ومن الضمانات الدالة على ذلك أن الشعوب - كدعوة الأنبياء - لا تصلح من أعلى، وقد دعم حجته بقول الله تعالى قوله تعالى:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)النور: (55 وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عرضت قريش عليه الملك رفض وكان يمكن له أن يقبل بالملك ليكون داعما له فى نشر دعوته، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن الإصلاح إنما يأتى من القاعدة الشعبية" وكذلك عندما سألت زينب بنت جحش رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"، فإذا كثر الصالحون جاء التمكين. ومن دفوعاتهم فى الرد على أصحاب الفريق المؤيد للثورة أنه إذا كان الإصلاح يبدأ من الحاكم فلماذا لم يستطع "النجاشى" رحمه الله إصلاح شعبه؟ بل إنه مات وكان يخفى إسلامه.

ثالثا: المغالطات الخطابية لدى الفريقين

Discourse Fallacies

مارس كلا الفريقين أساليب المراوغة فى حجاجهما المتعلق بشرعية ثورة 25يناير أو عدم شرعيتها، فقد ظهر ذلك بوضوح من خلال توظيف المغالطات التالية:

١- مغالطات الغموض والالتباس Fallacies of Ambiguity

ومنها المراوغة والمواربة فى استخدام الكلمات والعبارات بمعان متعددة " "Equivocationوالتلاعب بالألفاظ والإيهام وعدم التأكيد والاقتباس فى غير موضعه، والتعميم غير الموضوعى وسحب الجزء على الكل، فقد رمى أصحاب الخروج أنصار الفريق الآخر بأنهم من "المرجئة" وهى من الفرق الضالة، وليس معنى عدم موافقتهم بالخروج على الحاكم المسلم أنهم يعتقدون بمعتقد "المرجئة" الذين يقولون إنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وغيرها من المعتقدات الضالة التى ألف فيها شيوخهم مثل الشيخ ربيع المدخلى الكتب للرد على هذه المعتقدات الضالة، كما رموهم أيضا بأنهم من عباد الطواغيت - أى حكموا بكفرهم - فمن عبد الطاغوت من دون الله فقد كفر، رغم أن المداخله من أهل السنة، ويتحيزون فى الدفاع عن الحاكم المسلم الجائر طاعة لرسول الله، وما ورد عنه من أحاديث كثيرة تحث على الصبر على جور الحكام.

ومن ناحية أخرى رمى المداخلة أنصار الفريق المؤيد للثورة بأنهم من أهل البدع، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار، وأغلقوا عليهم باب الإجتهاد فى مسألة فيها خلاف، والخلاف هنا يتعلق بالفقه، فالنص ثابت، ولكن المشكلة تطرأ عند إنزال

النص على واقع جديد، وهو ما يطلق عليه فقه الواقع، كما رموهم بأنهم من الخوارج الجدد، ومنهم الخوارج القعدية الذين يناصرون الخروج على الحكام بفكرهم دون مشاركتهم فى الميادين.

ومن مغالطات الغموض والالتباس كذلك ما حكم به كل من الشيخ محمد عبد المقصود والشيخ فوزى السعيد بأن مبارك حاكم كافر لأنه لم يحكم بشرع الله، إذ إن الحكم بكفران شخص ما لا يكون إلا بعد مراجعته والتأكد من حقيقة كفره بضوابط شرعية عديدة حتى لا يؤخذ الناس بالشبهات، فقد وظف كلا الفريقين مفاهيم وأوصاف ليست فى موضعها الصحيح ليكسب حجته على الآخر، وذلك من خلال الإنتقاص من قدر الآخر، وهو ما يشير إلى أن الحجاج كان بهدف المغالبة، وليس المشاركة فى بناء تصور شرعى للمظاهرات والثورات فى الإسلام، وآلية مواجهة الحاكم الظالم الذى لم يعد يعبأ بالرعية، والذى بمجرد وصوله إلى سدة الحكم ينعزل عن شعبه، ويكبله بالقيود، ويتكىء على شيوخ ينافحون عنه وعن ظلمه إذ إنه يحرم الخروج عليه، فعدم الخروج عليه لا علاقة له بمساءلته، وقد روج بعض شيوخ المدخلية فى مصر لمبارك على أنه أمير المؤمنين.

كذلك يدخل فى مغالطات الغموض سحب الجزء على الكل، فقد سرد أصحاب فريق عدم الخروج بعض الأمثلة التاريخية التى تؤكد مقولتهم بأن الخروج لا يأتى بخير، فمنذ الخروج على سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكذلك خروج سيدنا الحسين رضى الله عنه على يزيد بن معاوية، إلا والذى يأتى بعده يكون أشر مما سبق، وقد بلغ الأمر ذروته أثناء خروج "بن الأشعث" على الحجاج بن يوسف الثقفى التى راح فيها أكثر من مائة ألف من المسلمين، وحكم فيها الحجاج بالقتل على عديد من علماء الأمة والذين كان آخرهم التابعى سعيد بن جبير الذى بايع "بن الأشعث" خليفة للمسلمين بدلا من عبد الملك بن مروان. ولكن التاريخ المعاصر يشهد بالعديد من الثورات التى نقلت شعوبها إلى طريق التقدم مثل الثورة الفرنسية، والثورة الأمريكية وغيرها، فأوروبا كانت تعيش فى ظلام، وعندما قامت بها الثورات تحررت الشعوب، وانطلق الغرب نحو التقدم.

٢- مغالطات ذات الصلة بالموضوع Fallacies of Relevance

ويتضمن هذا النوع اللجوء إلى القوة " "Appeal to Forceأو إلى أمر ضمنى أو تهديد غير مشروع وهذا على عكس التحذير والتوضيح المشروع ، أيضا الهجوم الشخصى على أشخاص "Per-sonal Attack" يتناولها الخطاب وليس على حججهم وأقوالهم، وهى آلية يلجأ إليها البعض للتقليل من شأن الطرف الآخر لنسف آرائه، فإذا كان الشخص نفسه منبوذا من جانب البعض خاصة فيما يتعلق بمنهجه العلمى، فإنه من باب أولى يتم نبذ كل رأى مخالف يأتى من طريقه، ومن هذا النوع من المغالطات أيضا اللجوء إلى مخاطبة المشاعر الجماهيرية أو الشعبية واللعب على أوتارها، واللجوء أيضا إلى استجداء التعاطف.

وقد ظهر ذلك بوضوح فى إسراف كلا الفريقين فى الهجوم على الأشخاص أو عموم الفريق، بدلا من الرد على حجته، ومن أمثلة ذلك قول الشيخ فوزى السعيد: "لقد عاقب الله رؤوس الإرجاء بأن أعمى قلوبهم عن الحق وأعقبهم الله نفاقا فى قلوبهم، وأصبحوا ينافحون عن الطواغيت وهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله بذلك". كما رمى الشيخ محمد عبد المقصود الشيخ سعيد رسلان بأنه كان من عملاء أمن الدولة وأنه كان يدعم أحمد عز فى دائرته الإنتخابية، ورد الشيخ سعيد رسلان على الشيخ عبد المقصود أنه كان يحميه أحد قيادات أمن الدولة، وقد وصل الأمر إلى الدعوة إلى المباهلة ـ الانتهال إلى الله ـ بينهم بأن يجعل الله لعنته على الكاذبين، ولا شك أن هذا كله بعيد عن أسلوب الحوار فى الإسلام.

كما أن الشيخ رسلان ذكر أن الشيخ محمد عبد المقصود كان يرى قبل الثورة أن دخول البرلمان كفر، وأن تطبيق الشريعة عن طريق التصويت كفر لأنه ـ فى هذه الحالة ـ سيكون الدستور هو الحاكم لشرع الله، ولكنه غير مواقفه بعد الثورة، وأصبح يقود حزبا سياسيا لخوض الإنتخابات لتطبيق الشريعة، لقد كفر كل من شارك فى مسلسل أوان الورد بدعوى أنهم ينشرون الكفر، وأضاف أن عبد المقصود لم يسلم من تكفيره أهل المعاصى والكبائر، ولم يسلم من تكفيره أهل العلم المخالفين له فى الرأى، ولم يسلم من تهكمه وسبه أهل العلم الموافقين له فى المنهج(٩٢).

وذكر الشيخ أحمد النقيب فى تعريفه للمداخلة "هناك قوم اسمهم "السبابة" الذين يسبون الناس، وهو يقصد بهم المداخلة وهؤلاء لا يدعون أحدا فى الإسلام له جهد إلا وسبوه، ورموه بصفرائهم وغيظائهم، فلو أنهم بذلوا جهدهم مع أهل البدع والمنكرات لكان ذلك خيرا لهم؛ ففى الوقت الذى يتركون فيه

أهل الضلال من الروافض وأهل الأهواء وغيرهم ولا يتكلمون إلا عن أرباب الدعوة ويقولون إنهم ثوريون مهيجون، فلنحذر هؤلاء السبابة فإنهم أشد على الدعوة من إبليس"[٩٣].

ووصف الشيخ محمد عبد المقصود المداخلة بأنهم "عباد الطواغيت"، شيوخ أمن الدولة ، لا هم لهم إلا تزكية الظلمة، ومحاربة الدعاة، هؤلاء دينهم شتم كل العاملين بالساحة، وأخذوا وضعية كبيرة فى العهود المظلمة، ولهم قرون استشعار يوجهونها صوب الحزب الوطنى وأمن الدولة لإرضائهم دائما، ثم ما الدين الذى يحملونه؟ عبادة الحكام؟! إنهم قوم جاهلون تربوا فى أحضان أمن الدولة، وهم أناس نفعيون، والذين يقولون هذا خروجا لا يزالون فى حمأة الضلال إلى الآن"[٩٤].ويقول الشيخ أحمد سالم أبو فهر "المداخلة يغالون فى مسائل الطاعة وفى جرح المخالفين"[٩٥].

ويقول الشيخ حازم شومان "إن دعاة عدم الخروج كانوا يتعبدون إلى الله بخدمة أمن الدولة والإرشاد عن الدعاة الذين يدعون إلى التغيير أو مواجهة الحكام"[٩٦].

ومن ناحية أخرى قام أصحاب الفريق المحرم للثورات (المداخلة) بالتنبيه على أنصار السلفية المؤيدين للثورة بإعتبارهم أدعياء السلفية، وأشاروا ـ فى خطابهم ـ إلى العديد من المؤلفات التى تحذر مما أسموهم بـ"الخوارج الجدد" مثل كتاب "الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف الصالح وأصول السرورية القطبية" ويقصدون بالسلفية القطبية هنا الشيخ محمد حسان والشيخ الحوينى وكل من أيد الثورة من السلفيين فهم قطبيون أى يأخذون بمنهج الشيخ سيد قطب فى التغيير.

ومما ورد من كلام الشيخ سعيد رسلان فى رده على الشيخ حازم شومان: " أن حازم شومان يهزى، وأنه ممن يسبون الصحابى معاوية بن أبى سفيان لخروجه على الإمام الحسن بن على وأنه يبث سمومه من قناة الشيخ القطبى ـ يقصد من يتبنون فكر سيد قطب ـ محمد حسان أحد خوارج هذا العصر"[٩٧].

وقد رمى المداخلة أنصار الثورة من السلفيين بأنهم من أهل الأهواء والبدع، ومن المتلونين فى دين الله، وأنهم أدعياء على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، ومن أساليب المراوغة التى لجأ إليها محمد كمال السيوطى ـ فى الرد على من ضعف حديث حذيفة وإن أخذ مالك وجلد ظهرك ـ قوله أصبحنا فى زمن "صار الصغار يطعنون فى مسلم"[٩٨]، فالتصغير من شأن الآخر لا يمثل ردا علميا على ما ورد من أن حديث حذيفة من أنه من المتابعات كما ذكر مسلم بنفسه، وكذلك ما ذكره الشيخ هشام البيلى فى رده على الشيوخ المؤيدين للثورة مثل الحوينى وأصحاب المدرسة السلفية بالإسكندرية مثل الشيخ ياسر برهامى: " إن هؤلاء على الضلال وهم أصحاب هوى وبعيدون عن السنة ولا يعرفونها، وهؤلاء يحذر منهم جميعا"، بل وذكروا أن الشيخ وحيد عبد السلام بالى صار من الذين يؤصلون للبدعة وينشرونها وينافحون عنها بل ويجالس المبتدعة من التكفيريين والقطبيين ويثنى عليهم ويدافع عنهم ومعلوم أن من كان هذا حاله فإنه يلحق بالمبتدعة فيصير منهم ولا كرامة.

وقد انشغل الشيخ هشام البيلى برصد "كفريات ثورة ٢٥ يناير" ويقصد بها العبارات التى رددها شيوخ الثورة مثل القول الذى أعجب الشيخ محمد عبد المقصود الذى ذكره بعض شيوخ التبليغ "رأيت الله تجلى فى التحرير" وآخر يقول أن ميدان التحرير أصبح قبلة الأحرار فى العالم، وما قاله عصام العريان: "هذه الثورة نفخ الله فيها من روحه" ووصف هؤلاء الشيوخ بأنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا من جديد، وتساءل الشيخ سعيد رسلان تعليقا على قولهم بتجلى الله فى ميدان التحرير وهل ظل الميدان على حاله، أم اندك وصعق من فيه، توازيا مع ما ورد من أن الله عز وجل لما تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا لما رأى ما حدث للجبل[٩٩].

وذكر الشيخ عادل الشوربجى أن دعاة الخروج على الحكام هم دعاة أهل البدعة الذين سوف يخربون مصر كما ضاعت فلسطين من قبل، فمنذ الفتنة ـ يقصد ثورة 25يناير ـ وهؤلاء الدعاة الخوارج يبثون أفكارهم المنحرفة من ترويج الديمقراطية، والانتخابات والحزبية وغيرها وهى ليست من الشرع، وسوف يستغل أعداء الأمة هذه الأفكار فى إضعاف مصر إلا أن يأذن الله بغير هذا"[١٠٠].

ويقول الشيخ طلعت زهران عن أنصار الخروج أنهم امتداد للصوفية، فلما فشل الفاطميون فى نشر المذهب الشيعى فى مصر، على حساب المذهب السنى، لجأوا إلى دعم الصوفية التى تميل إلى آل البيت وتبالغ فيهم، وأصبحت مصر سنية المذهب شيعية الهوى، وأصبح الحكام يدعمون الصوفية لضرب المذهب السنى الصحيح[١٠١].

خاتمة وتوصيات

جاء "ربيع الثورات العربية" بأحداثه المتتابعة ليطرح كثيرا من

النقاشات والآراء حول قضايا فكرية وسياسة ترتبط بمفهوم التغيير وشرعيته ومنهجه وأهدافه. وفى مقدمة تلك القضايا، كان الحديث حول علاقة الإسلام بمفهوم "الثورة"، ومدى أصالة هذا المصطلح فى الفكر الإسلامى، وهل عدم انتشاره فى الفكر الإسلامى يعنى أن الإسلام يرضى بالخنوع والظلم؟

وتصدت الدراسة الحالية لرصد رؤية الخطابات السلفية لشرعية ثورة 25يناير 2011م، وبعد استعراض حجج كل من خطاب "السلفية السرورية" وخطاب "السلفية المدخلية" بشأن شرعية الثورة، فإنه يمكن القول بأن أهداف هذه الخطابات تراوحت بين التأثير والاستمالة والتوضيح. وقد استخدمت تلك الخطابات الكثير من الأدوات الإقناعية مثل الآيات والأحاديث الشريفة وكتب السنة والأدلة التاريخية، وبعض المرجعيات الفكرية المعاصرة لكل تيار من هذه التيارات.

وفى الوقت الذى غلبت فيه الحجج المعيارية التى تستند إلى الدليل على خطاب "السلفية المدخلية" حيث إنهم يتمسكون بالدليل وهو ما جعل البعض يطلق عليهم "السلفية العلمية"، فإن الحجج الواقعية كانت الغالبة على خطاب "السلفية السرورية" الذين يأخذون بفقه الواقع ويحاولون إسقاط النصوص على الواقع بما يتماشى مع ما يطرأ على هذا الواقع من مستجدات لم تكن موجودة فى عصر النبوة.

لقد اخفقت الخطابات السلفية المدروسة فى أن تحقق أى قدر من الإجماع من خلال الإقناع والمحاججة، وأن تبنى إطارا مفاهيميا يربط بين القديم والمستحدث، ويقدم رؤية إسلامية تستوعب التطورات الراهنة فى ضوء فقه الواقع أو فقه الموازنات، ولا يصطدم مع ثوابت الدين، بل راحت تراوغ وتتعصب لرؤيتها دون الكشف عن جوانب الحق أو الاجتهاد فيما يطرحه الطرف الآخر وذلك لبناء الحقيقة، ودخلت فى سباب شديد لبعضها البعض، وبالتالى فإن استعمال كل خطاب لمفاهيمه لم يحقق التواصل المطلوب، بل زادت الحدة والتعصب لدى رموز كل خطاب، وبطبيعة الحال، فإن البنية القائمة على الاستقطاب لا تفرز إلا استقطابا فكريا يتنافى مع جوهر الدين الحنيف حيث يقول رب العزة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (آية) فثمة صراع جدلى عقيم دائر بين الطرفين، إذ يتركز مسعى كل منهما فى كيفية سحب البساط من تحت أقدام الطرف الآخر.

وكان أسلوب التخاطب بين رموز كلا الفريقين هو أسلوب التخاصم والتنازع والجدل والغلبة، وهو ما ألجأ كلا الفريقين من توظيف بعض المغالطات الخطابية لإفحام الطرف الآخر ودحض حجته، وهذا يدل على أن كل خطاب منهما كان متوجها إلى خصومه ومعارضيه أكثر مما هو متوجه إلى المتلقى العادى.

وقد خلا الحجاج بين الفريقين مما يطلق عليه اسم الحجاج التشاوري Deliberative Argumentation والمشاورة هى معالجة مسألة من وجهات نظر مختلفة لأخذ قرار أو موقف أو تخيّر حلّ من جملة حلول مقترحة، أو هى مواجهة اعتراضات الأنا واعتراضات الآخر لبناء قرار حاسم، وتكون المشاورة صالحة فى السياقات المصيرية ذات الشأن العام، حيث لم يُفْضِ الحجاج بين أنصار شرعية الثورة أو عدم شرعيتها إلى تقريب وجهات النظر بين الفريقين، بل اتسع الخلاف وزادت الفرقة، وهو ما يخالف آداب الحوار فى الإسلام، فالباحث عن الحق فى الإسلام لا يضره إن كان الحق معه أو مع غيره، المهم الوصول إلى الحق والانتصار له، وهو ما لم يتحقق بين الفريقين، بل راح كل منهما يرمى الآخر بالكفر مرة أو بالبدعة مرة أخرى، ويزعم أن الحق معه، وأن الآخر على باطل وضلال، وتاه الحق بين الفريقين.

ومما لاشك فيه أن التطرف والتشدد فى الأفكار بين خطابات السلفيين ينذر بكارثة. وبدلا من أن يساهم الخطاب الدينى فى إيجاد حلول للأزمات التى تمر بها البلاد، أصبح هذا اللون من الخطاب أزمة جديدة فى حد ذاته توضع فوق كاهل الأمة، وهو ما يحتاج من رجال الدين مراجعة أنفسهم، ومعرفة أخطائهم والتراجع عنها، وأن يتقاربوا على كلمة الحق، فالرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال، وعلى المخطئ أن يتراجع عن خطئه حتى يتحول رجال الدين إلى طاقة بناءة تنير السبيل للأمة نحو التطور بحيث تحصل على المكانة اللائقة بها بين باقى الأمم.

وإذا كان الحجاج يستمد معناه التواصلى أو استعماله من سياقه أولا ومن شرطه التخاطبى ثانيا سواء تمثل فى التخاصم أو التنازع أو الجدل أو الغلبة أو الإقناع، أى فى التأثير وكيفية تحويل الخطاب إلى فعل عملى وممارسة عملية، ويظل هذا التأثير رهين الإجماع والانخراط فى سياق الأفكار أو القيم المسلم بها والتى توجه أو تدير الرأى العام[١٠٢]، فقد لاحظ الباحث أن الرغبة فى الغلبة والتخاصم أدت إلى حالة من الاستقطاب الشديد بين طلاب كلا الفريقين ومريديهم عبر

موقع اليوتيوب، وتنازع وسُباب، وهو ما يسعى الباحث إلى التصدى له فى دراسة أخرى.

ولم ينجح كلا الفريقين من السلفيين فى التأسيس لمفهوم محدد للثورة فى الإسلام، يتفق مع ثوابت الدين ويتماشى مع تغيرات العصر، فالثورة فى الإسلام لا تعنى التمرد على القيم السابقة بالكلية كما هو معروف فى أدبيات الغرب، إنما تقوم الثورات فى الإسلام لمجابهة الحكام الغاشمين الذين يفرطون فى الدين والحقوق والواجبات، فهناك فريق يرى أن الثورات هى من البدع المستحدثة التى فيها تقليد للغرب، واكتفى الفريق الآخر بالنظر إلى الثورة على أنها لون من ألوان تغيير المنكر والخروج على الحكام باللسان، وهو من الخروج المشروع، لكن لم يجتهد أصحاب هذا الفريق فى تقديم تعريف واضح للثورة فى الإسلام، أو تصور شامل للثورات المشروعة فى الإسلام، وآلياتها، بحيث تكون متفقة وصحيح الدين، وأداة تقويم للحكام إن هم حادوا عن الجادة، فلا يكون لهم فرص للتجبر على الرعية.

وقد انشغل فريق "المداخلة" بقضية ولى الأمر ومحاربة كل من يخرج عليه، ورميه بالبدعة، حتى أصبحت القضية المحورية فى مجمل خطابهم رغم أن الأمة فى أمس الحاجة إلى مناقشة العديد من قضاياها، مثل مياه الشرب الملوثة، والبلطجة والسرقة بالإكراه، والتجارة فى الأعضاء البشرية، وتراجع معدلات النمو، وانتشار الفقر والبطالة، وواجبات الحاكم نحو الرعية وأسس محاسبته، وغيرها من القضايا والأمراض التى تواجهها الأمة، هذه القضايا وغيرها يغضون الطرف عنها، وكأنهم يعيشون فى مجتمع آخر غير الذى نعيش فيه، وبالتالى أصبحت حواراتهم ودفاعاتهم عن الحكام الجبارين معول هدم فى جسد الأمة، وآلية لجرها إلى أتون الفتن والتشرزم والضياع.

لقد كان المسلمون فى عصر النبوة، ثم فى عهد الخلفاء الراشدين، ينعمون بحكم إسلامى يطبق القيم السياسية الإسلامية التى تصلح لكل زمان ومكان وهى: الشورى، والحرية، والعدالة، والمساواة، إلا أن الأنظمة السياسية اللاحقة تركت تلك القيم وطردتها من الحياة السياسية فى العالم الإسلامى، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن يعيش المواطنون فى البلاد الإسلامية حياة العبودية والاستبداد باستثناءات طفيفة، ولا شك أن ذلك يرجع فى جزء كبير منه إلى غياب فقه مقاومة الاستبداد، فالشريعة الإسلامية قامت لمقاومة الاستبداد، الذى هو المناخ المناسب لانتشار المنكر فى كافة مناحى الحياة.

وإذا كان الاستبداد يعنى استغناء المستبد بنفسه عن شورى الآخرين، وعن اشتراكهم فى صناعة القرار، فلقد جعل القرآن الكريم هذا الانفراد والاستغناء والاستبداد المقدمة التى تفضى إلى الطغيان، بل جعل ذلك سنة وقانونا من القوانين والسنن الاجتماعية التى لا تبديل لها ولا تحويل: "كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى" (العلق٧) وفى فقه المقاومة للولاة الظلمة والسلاطين المستبدين، وردت عديد من الأحاديث منها: "إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده"، ومنها: "ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"، وكذلك: "سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه، ولم يرد الحوض. ومن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم، ومن وقع منهم فى دنياهم فهو منهم".

وفى فقه المقاطعة للحكام الظلمة والولاة المستبدين، وممارسة العصيان المدنى ضدهم وضد استبدادهم وردت أحاديث نبوية تؤكد ذلك، وخاصة على العلماء الذين يجب أن يحرصوا على الاستقلال عن الأمراء:"أبغض القراء ـ العلماء ـ إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء. وخير الأمراء الذين يأتون العلماء، وشر العلماء الذين يأتون الأمراء. والعلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإن فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل، فاحذروهم واعتزلوهم"(١٠٣).

وقد اتفق بعض منظرى النظام السياسى فى الإسلام على أنه "إذا ثبت للأمة خروج الحاكم على أحكام الشرع، أو جرحت عدالته، وجب عزله وإحلال آخر محله، ويتشدد البعض فى كيفية مقاومة ظلم الحاكم، ويرى الإمام بن حزم أن من يخضع للظلم ويصبر عليه، وهو قادر على دفعه، يكون معاونا للظالم على الإثم والعدوان، وهذا حرام بنص القرآن " ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" ومخالفا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم" من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن

قتل دون مظلمته فهو شهيد"، وهو يرى أن الحاكم إذا أخذ يملأ الأرض بغيا وفسادا حتى ينشأ عن ذلك جور بواح (ظاهر) لا يحتمله الناس، فإن مسلكه يعد كفرا بواحا، ويتعين عزله ولو بالقوة. ويشترط فى هذه الحالة التحقق من مدى القدرة على مقاومته وتغييره؛ فالذين خرجوا على حكم بنى أمية والعباس دون استعداد مسبق، لم تجن الأمة من وراء ذلك سوى إراقة الدماء، وتفريق الكلمة، وجلب الكثير من المحن والكوارث عليها[١٠٤]. كما أن "النظام الإسلامى لا يجعل لرئيس الدولة أو الإمام أى صفة إلهية أو حق إلهى فى تولى السلطة، بل هو يستمد من الأمة سلطانه حين تختاره إلى هذا المنصب الأجل، وهو ليس إلا كأحدهم فى الحقوق والواجبات، وإن كان أثقلهم حملا وتبعات. إن الأمة هى التى تختاره للحكم، وهى التى تراقب سياساته وأعماله، وهى التى تعزله إن رأت ذلك من مصلحتها"[١٠٥].

وقد أكد الشيخ محمد الغزالى على أن المظاهرات قد تكون مشروعة ومطلوبة، ولو لم يأذن بها الحاكم ونظامه إذا قابلها بلوغ ظلم الحاكم مداه فعطل الشرع وحارب أهله، وصادر الحريات وكمم الأفواه، وملأ السجون، وأشاع الفساد، وأساء توزيع الثروة فحارب الناس فى أرزاقهم فقتر عليهم، وأسرف على نفسه وأعوانه، فتركه والحال هذه إلقاء بنفوس العباد والبلاد إلى التهلكة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده واللفظ عام فى الظالم محكوما أو حاكما، فالإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان، وإنما يُتجرأ على الحاكم ويُستباح يوم يتجرأ هو نفسه على الأمة ويستبيحها ويسقط هيبتها وينتهك حرمتها[١٠٦].

والأزمة تتلخص فى غياب لغة الخطاب الدينى عن الواقع المعاش، فأين لغة الخطاب الدينى من مواجهة المشاكل والأزمات الإجتماعية التى يتضرر منها المجتمع والناس كقضية البطالة والفقر وأزمة الإسكان على سبيل المثال وليس الحصر. فلا تزال لغة الخطاب الدينى قاصرة وعاجزة عن مواجهة سلاطين الجور الذين سرقوا الأوطان ونهبوا خيرات الشعوب فى بلاد العالم العربى والإسلامى، ومن هنا نشأت البطالة وتسيد الفقر الموقف ونتجت أزمة الإسكان بالتوازى مع البطالة والفقر بسبب من التسلط السياسى وسرقة الأوطان واغتصاب الحكم والسلطة.

ولا تزال لغة الخطاب الدينى عاجزة معدومة الإرادة، وليس لها من وجود إلا لغة الصبر على الأذى، مع إغفال النصوص الدينية التى تحض على مقاومة الظلم والفساد والاستبداد فى كافة صوره المخفية والمعلنة ومنها مقولة الحق عند الحاكم الجائر الظالم سارق الوطن وخائن الشعب وناهب خيراته.

إن أزمة الخطاب الدينى أنه منعزل عن الحياة والواقع، كما أنه غابت عن مفردات لغته مفاهيم التنمية والحضارة والثقافة والعلم والتقدم ومحاربة الفساد العام من أعلى رأس فى السلطة وحتى أدنى رأس، ولا بد للخطاب الدينى أن يتجاوز مشكلاته الذاتية ويقدم لها حلولا عاجلة حتى يتمكن من حلول لمشكلات الواقع وفى مقدمتها الفقر والجهل والمرض، وتقديم برنامج سياسى كامل يتم من خلاله طرح رؤية سياسية لحل جميع المشاكل من الاستبداد بالحكم والسلطة وطريقة تداول الحكم وأسلوب تبادل السلطة ووضع تصور لحل جميع مشاكل الواقع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والصحية والعلاقات الخارجية والداخلية.

وإذا كان المواطن المصرى قد تمثل ثقافة القابلية لانتهاك حقوقه وحرياته ـ وذلك فى عهد المخلوع ـ حتى وصل به الأمر إلى مرحلة الزهد فى الحصول على هذه الحقوق والحريات، حيث استسلم كثيرٌ من المواطنين لإجراءات القمع والتعسف، وانتهاك الحقوق والحريات من قبل الحاكم الجائر، وإذا كان الحق سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم: "فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين" فلابد للخطاب الدينى أن يحارب الخنوع والاستسلام، وألا يسكت على جور الحكام، وأن يستنهض روح العزة والكرامة لأبناء الشعب المصرى، حتى يتمكن من البناء واللحاق بركب التطور، وهذا ما أكد عليه الكواكبى بقوله "إن الأمة التى لا يشعر كلها أو أكثرها، بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية"[١٠٧].

إن المرحلة الراهنة تتطلب خطابا دينيا يتواءم مع روح الثورة ويؤكد على مفاهيم العزة والكرامة ويحارب الخنوع ويقاوم ما تربت عليه الأمة فى عهد حكام جائرين استعلوا على شعوبهم واستخفوهم حتى "ألفنا أن نعتبر التصاغر أدبا والتذلل لطفا والتملق فصاحة، وترك الحقوق سماحة وقبول الإهانة تواضعا والرضاء بالظلم طاعة ودعوى الاستحقاق غرورا... والإقدام تهورا والشهامة شراسة، وحرية القول وقاحة، وحرية الفكر كفرا، وحب الوطن جنونا"[١٠٨]. لقد أصبحت من أولى مهام

الخطاب الدينى محاربة دولة انتهاك الحقوق والحريات، تلك الدولة الجابية فارضة الواجبات والأعباء المتزايدة على مواطنيها، والتى تُختزل فى شخوص حكامها، والمساهمة فى تأسيس دولة الحق والعدل والقانون.

إن الخطاب الدينى أصبح مطالبا بعدم الخلط بين مفهومى الابتلاء والقضاء والقدر من ناحية، وبين تقصير البشر والحكومة من ناحية أخرى، بمعنى عدم التفريق بين ابتلاء السماء وتقصير الأرض، وتجبر الحكام. وتكون المحصلة النهائية معاناة مستمرة، وانتهاك للحقوق والحريات تحت دعوى الابتلاء، ومن ثم ينجو الحكام من المحاسبة والمساءلة، رغم أنهم بمثابة متغير مستقل فى انتهاك حقوق مواطنيهم وحرياتهم.

لقد أصبحنا فى حاجة ماسة إلى خطاب دينى ينفتح على الواقع بكل تطوراته ويحسن التعامل مع العلاقة الجدلية بين الثابت والمتغير بعقل مقاصدى يلتزم دلالات الأحكام ومقاصدها، ويراعى حركية الواقع لا سكونيته، وتجدد حاجات الإنسان وذلك كله فى ضوء معرفة مراتب المصالح والمفاسد، وخير الخيرين وشر الشرين، الأمر الذى يساهم فى دفع الأمة على طريق التطور والتنمية وعدم انغلاقها وجمود حركتها، هذا الفهم للواقع يهدف إلى بحث الخيارات الممكنة، والسبل المتاحة، لكى تأخذ الأمة الإسلامية وضعها ومكانتها فى البيئة الدولية.

إن الثورات العربية وما أدت إليه من الكثير من المتغيرات السياسية والثقافية والدعوية التى تطلبت أن يواكبها تأصيل علمى وشرعى لأحكامها، ومن ثم تكييف هذه الوقائع والمستجدات فقهيا ليسهل بعد ذلك تنزيل الأحكام عليها(١٠٩).

إن الإسلام يأبى الدولة الضعيفة، الخانعة، التى تمثل رافدا للظلم والاستبداد، والعاجزة عن تحقيق حياة العزة والكرامة لمحكوميها، المذعورة تجاه الأجانب والغرباء، المستأسدة والقمعية والمستبدة تجاه الداخل وتجاه مواطنيها، وعلى الخطاب الدينى أن يكون على قدر ما جاء به الإسلام، وألا ينغلق وأن ينفتح على التجديد الذى لا يصطدم بالثوابت، ولا يخاصم الواقع، ويجادل المخالف بالتى هى أحسن، ويواجه مطامع الغرب، ويملك زمام المبادرة، ولا يجعلنا فى موقف رد الفعل دائما، حتى تنهض الأمة وتستعيد مكانتها اللائقة بين الأمم.

إن ما سبق يفرض على السلفية المعاصرة النهوض أولا بمراجعة الذات ومعرفة أين موقعها صوابا وخطأ من قواعد المنهج السلفى نفسه، فى جوانبه الاجتماعية والثقافية والتربوية، حتى يتسنى لها المشاركة فى بناء الوطن وحل مشكلاته وتقدمه.

المراجع:

١- مصطفى علوى، كف تعامل العالم مع الثورات العربة، مجلة الساسة الدولة، العدد ١٨٤ ، ابرل ٢٠١١، ص ص 38-45.

-أحمد يوسف أحمد، عثرات الربيع العربى: محاولة للفهم، على الرابط التالى

- http://ahmadyoussef.com/ArticlesDetails.aspx?ArticleID=613

٢- أحمد طاهر وأحمد السعودى، الثورات الشعبة: الطرق الثالث للتغر التجربة المصرة نموذجا (القاهرة: الربع للمطبوعات التجارة ، (2011ص ص 8-13.

- سامح راشد، حصاد الربيع العربى فى عامه الأول، مجلة شئون عربية، عدد ١٤٨ ، ٢٠١١، ص ص 10ـ 18.

٣- السلفية الجامية أو التيار الجامى تنسب إلى الشيخ محمد أمان الجامى أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية وهى شعبة من شعب التيار السلفى يعتقدون انه منهج السلف يتمثل فى السمع والطاعة وحرمة الخروج على الحاكم جريا على مذهب الحنابلة والأوزاعى الذين يحرمون الخروج على الحاكم الجائر وإن خالف فى هذا بعض الحنابلة مثل ابن رجب الحنبلى وأبو الوفاء على بن عقيل وأبو الفرج بن الجوزى عبد الرحمن بن رزين " وعبد الرحمن بن رزين الذين يرون مشروعية الخروج ناهيك عن أبى حنيفة" أبى حنيفة والشافعى ومالك وابن حزم الذين يجيزون الخروج على الحكام الظلمة.

٤- هو لقب آخر للسلفية الجامية نسبة إلى الشيخ ربيع المدخلى وهو من أساتذة علم الحديث بالمملكة العربية السعودية. راجع الموقع التالى:

http://www.rabee.net/default.aspx

٥- السرورية نسبة إلى محمد زين العابدين سرور، وهو سورى الأصل، كان إخوانيا، فلما انتقل للمملكة وتعرف على المنهج السلفى تغيّر فكره، و خرج بمنهج جديد لا هو سلفى خالص ولا هو إخوانى خالص، فمن المنهج السلفى أخذ مسائل العقيدة فى العموم، ومن المنهج الإخوانى أخذ الكثير من المسائل المنهجية. ثم سافر إلى لندن واستقر فيها فترة من الزمن، وهو ممن يؤيدون الثورات فى بلاد المسلمين، ولقب السلفيون الذين يسيرون على نهجه بالسروريين وهذا اللقب أطلقه عليهم المداخلة، فكل من يناصر الثورات العربية فهو سرورى قطبى نسبة إلى سيد قطب. راجع الفروق بين السلفيين وبين القطبيين السروريين ، متاح على الموقع التالى:

http://www.ajurry.com.

٦- محمد عابد الجابرى، الخطاب العربى المعاصر(بيروت: دار الطليعة، (1982ص 128.

٧- راجع : على بكر، صعود سياسى: الخريطة السياسية للتيارات السلفية

فى مصر، مجلة السياسة الدولية، متاح على الموقع التالى:http://
www.siyassa.org.eg/Portal/2.aspx

٨- جابر السكران، الثورة: تعريفها/ مفهومها/ نظرياتها، جريده "الجريدة" متاح على الرابط التالى:

http://www.aljaredah.com/
paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=13274

٩- رجب بودبوس، محاضرات فى علم الثورة (القاهرة: المركز العالمى لدراسات الكتاب الأخضر، ٢٠١١)، ص .27

١٠- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول ، الجزء السادس، باب الثاء، ص .522

١١- محمد عمارة، الإسلام والثورة (القاهرة: دار الشروق، (1988ص ص 10-14.

١٢- المرجع السابق، ص .13

١٣- رجب بودبوس، مرجع سابق، ص .27

14 - Roskin, Michael G. et.al., Political Science: An Introduction, (New Jeresy: Pearson Education , Inc., 2008), p. p359-378 .

١٥- الموسوعة العربية للسياسة على الرابط التالى:

HYPERLINKhttp://www.arab-ency.com /
index.php?module=pnEncyclopedia &func=display _term&id=159674
&vid=35.

١٦- شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسى: قضايا العنف السياسى والثورة (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (2003ص.47

١٧- مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسى (ليبيا : دار الكتب الوطنية . (2007ص.99

١٨- إيمان أحمد رجب، الثورات: المفاهيم الخاصة بتحلل انهيار النظم السياسة، ملحق مجلة السياسة الدولة بعنوان: اتجاهات نظرية فى تحليل السياسة الدولية ، العدد ١٨٤ ، ابرل 2011ص 4.

١٩- ناهد عز الدين، خرطة محدودة : ثبات الفاعلن وتغر الأدوار بعد الثورات العربة، مجلة السياسة الدولة، العدد ١٨٨ ، ابرل ٢٠١٢ ، على الرابط التالى:

http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/3/111/2344.

٢٠- عزمى بشارة، فى مفهوم الثورة، المركز العربى للأبحاث ودراسة الساسات، على الرابط التالى:

http://www.dohainstitute.org.

٢١- شعبان الطاهر الأسود ، مرجع السابق . ص.79

٢٢- الموسوعة العربية للسياسة على الرابط التالى:

HYPERLINKhttp://www.arab-ency.com /
index.php?module=pnEncyclopedia &func=display _term&id=159674
&vid=35

٢٣- شعبان الطاهر الأسود ، مرجع السابق . ص .81

٢٤- إسماعيل على سعد ، مبادئ علم السياسة: دراسة فى العلاقة بين علم السياسة والسياسة الاجتماعية، ط) 1القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، 2004)ص .251

٢٥- الموسوعة العربية للسياسة، على الرابط التالى:

HYPERLINKhttp://www.arab-ency.com / -
index.php?module=pnEncyclopedia &func=display _term&id=159674
&vid=35

٢٦- أحمد سعد تاج الدن، ثورة ٢٥ ناير ثورة شعب (القاهرة : الهئة العامة للاستعلامات، (2008ص ص .12-10

٢٧- محمد عمارة، الإسلام والثورة، ط) 3القاهرة: دار الشروق، (1988 ص ص .6-3

٢٨- المرجع السابق، ص ص 053 -10

٢٩- هشام فروم، تجليات الحجاج فى الخطاب النبوى: دراسة فى وسائل الإقناع الأربعون النووية أنموذجا، رسالة ماجستير، غير منشورة (الجزائر: جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2009م).

٣٠- عبد الرحمن محمد جمال الحوت،منهج الحجاج فى القرآن الكريم: دراسة فى أصول المحاججة ، رسالة ماجستير، غير منشورة،(بيروت: جامعة الجنان، .(2010

٣١- أميمة مصطفى عبود، "مفهوم الإصلاح السياسى فى بعض نصوص الخطاب الليبرالى العربى الجديد"، فى: كمال المنوفى، ويوسف محمد الصوانى(محرران)، ندوة الديموقراطية والإصلاح السياسى فى الوطن العربى، (جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 22-21يونيه 2005م) ص ص . 128 -105

٣٢- أمانى مسعود، " مبارك ومفهوم حقوق الإنسان: قراءة فى الخطاب السياسى" ، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة: " حقوق الإنسان فى الخطاب السياسى والحقوقى المعاصر فى الدول العربية" ، (قطر: ?اللجنة ?الوطنية ?لحقوق ?الإنسان 12 - 11 ? ?مايو 2008م) ص ص . 7 -1

٣٣- محمد محسن الظاهرى،"حقوق الإنسان فى اليمن دراسة للخطاب الرئاسى بين المنطوق به والمسكوت عنه" ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة: " حقوق الإنسان فى الخطاب السياسى والحقوقى المعاصر فى الدول العربية"، (قطر: اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان 12 - 11 مايو 2008م)

34- Chang, Gordon c. & Mehan, Hugh B., "Why We Must Attack Iraq: Bush's reasoning practices and argumentation system, Discourse Studies, vol 14 (2),2008,pp 197-216.

35- Morasso, Sara Greco, Contextual Frames & Their Argumentative Implications: a case study in media argumentation, Discourse and society, vol 19 (4),2012,pp 453-482.

٣٦- إدريس أوهلال ، دروس الحجاج الفلسفى، مجلة الشبكة التربوية الشاملة، متاح على الموقع التالى:

http://livres.philomaghreb.com/index.php?action=view&id=87

٣٧- طريف شوقى، ارتقاء مهارات المحاججة، فى: طريف شوقى (محرر) المهارات الاجتماعية والاتصالية (القاهرة: دار غريب، 2003م) ص ص ٤٠١- ٤٧٠ .

٣٨- إدريس اوهلال، مرجع سابق.

39- Mcpeck, J, E, Teaching Critical Thinking (New York: Routledge,

1990), pp. 7-9.

- Rancer, A, S, kosberg, B.L& Baukus, B, A , Beliefs about Arguing as Predictors of Trait Argumentativeness Implications for Training in Argument and Conflict Management.Communication Education, 1992, 41, October, 375- 387.

- Rancer, A, S, Whitecap, V, G, Kosberg, R, L & Avtgis, T, H , Testing the Efficacy of a Communication Training Program to Increase Argumentativeness and Argumentative Behavior in Adolescents, Communication Education,1997, 40, October 273- 284.

- Johnson, K, L, & Roloff, M, E, Serial Arguing and Relational Quality, Communication Research, 1998, 29, 3, June, 327- 343.

٤٠- إدريس اوهلال، مرجع سابق.

٤١- طريف شوقى، مرجع سابق، ص ص ٤٠١- ٤٧٠ .

42- Argumentation Theory, Language Theories and Linguistics, University of Twente, available online on: http:// www .tcw.utWente.nl/ theorieenoverzicht/Levels%20of%20theories/micro/Argumentation%20 Theory.doc/.

٤٣- راجع:

- عبد الرحمن حسن حبنكة، كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة، سلسلة أعداء الإسلام، دمشق: دار القلم، (2007ص ص .144-123

- طريف شوقى محمد، المحاججة: طرق قياسها وأساليب تنميتها (القاهرة: مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث فى العلوم الهندسية، (2005 ص ص .22-15

٤٤- عبد المنعم شحاتة وطريف شوقى، مكونات المحاجة: دراسة فى تحليل مضمون بعض المحاورات الفكرية، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد ٣٠ ، عدد ٣ ص .578- 555

٤٥- عبد الله صوله ، الحجاج فى القرآن (لبنان: دار الفارابى، (2007ص ص.10 -2

٤٦- حمادى صمود(محرر)، أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، د.ت) ص ص .10-5

- أبوبكر العزاوى، من المنطق إلى الحجاج، مجلة فكر ونقد، متاح على الموقع التالى:

"http://www.fikrwanakd.aljabriabed"

- نعمان بوقرة : نظرية الحجاج□مجلة الموقف الأدبى ،دمشق ،العدد 407 ، مارس2006□م .

47- Ronald R. Krebs, Twisting Tongues & Twisting Arms: The Power of Political Rhetoric, European Journal of International Relations, March 2007, vol. 13, no. 1, pp. 35-66.

- Veronica M. Kitchen, Argument and Identity Change in the Atlantic Security Community, Security Dialogue, February 2009, vol. 40, no. 1, pp. 95-114.

- Stephen E. Toulmin, The Uses of Argument, (New York: Cambridge University Press, 2003) pp.11-15.

٤٨- أميمة مصطفى عبود، مرجع سابق، ص ص . 128 -105

٤٩- المرجع السابق، ص .122

٥٠- امانى مسعود، مبارك ومفهوم حقوق الانسان: قراءة فى الخطاب السياسى، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة: " حقوق الإنسان فى الخطاب السياسى والحقوقى المعاصر فى الدول العربية"، (قطر: اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، 12 - 11مايو (2008 ص . 7 -1

51- Loui, Ronald P., "A Citation-Based Reflection on Toulmin and Argument". In Hitchcock, David; Verheij, Bart. (eds.) Arguing on the Toulmin Model: New Essays in Argument Analysis and Evaluation. (Springer Netherlands, 2006) pp.□31–38.

- Westfall, Richard. "Review: Toulmin and Human Understanding". The Journal of Modern History 47 (4): 691–698.

- A Description of Toulmin's layout of argumentation, at: "http:// www.unl.edu/speech/comm 109/ Toulmin/ layout.htm"

- Argumentation & Reason: a model of practical reasoning, at: "http:// www.willametto.edu/" www.willametto.edu/ cla/rhetoric /courses/ argumentation/ch04/htm.

- Zarefsky, David. Argumentation: On the Study of Effective Reasoning, (Chantilly, VA Technology Co., 2001),pp, 9 – 32.

٥٢- رشيد الراضى ، الحجاج والمغالطة: من الحوار فى العقل إلى العقل فى الحوار، عرض عبد الواحد العلمى، متاح على الموقع التالى:

http://www.neelwafurat.com/itempage.aspxid=|bb183169-153323&search=books

٥٣- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (2007ص .17

٥٤- عبد الرحمن حسن حبنكة، مرجع سابق، ص .123

٥٥- عادل مصطفى، مرجع سابق، ص ص . 16 -11

56 - Hansen, Hans V.(ed.), Fallacies: classical and contemporary readings, Pennsylvania, Pennsylvania state univ. Press, 1995.

-Schopt, William (ed.), Evolution, Facts and Fallacies, San Diego, Academic Press, 1999.

-Fallacies in Arguments, Or How Arguments go wrong, at: http:// www.auburn.edu/ pctl/models /Reading/ nothingbut/ fallacies.html

- Logical Fallacies :Fallacies in the media and politics,at: "http://dks.net/ Logical Fallacies.html" http://dks.net/Logical Fallacies.html

- Discourse Fallacies, http://faculty.maxwell.syr.edu/northrup/

٥٧- أميمة مصطفى عبود، مرجع سابق، ص ص 128

٥٨- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، سلسلة عالم المعرفة،العدد 164أغسطس 1992ص .104

- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجى: عناصر استقصاء نظرى، عالم الفكر، العدد الاالمجلد 30يوليو سبتمبر 2001م، ص ص 97_ .133

- محمد شوقى الزين، تأويلات وتفكيكات : فصول فى الفكر الغربى المعاصر (بيروت: المركز الثقافى العربى، (2002ص ص .85 - 84
Toulmin, Stephen." Rhetoric and Media Studies. At: willamette.edu/cla/rhetoric/courses/argu

٥٩- راجع:
- بركات عبد العزيز، محاضرات فى مناهج البحث الإعلامى (القاهرة، د ن ، 2010م) ص .354
- K.Buton,W.Perry-Jones,M.Livingston British, Qualitative Research, Journal of Psychiatry, 1998 vol/172(197-199).

٦٠- يوسف القرضاوى وحقيقة تطيع الأمير وإن ضرب ظهرك متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch?v=8JRjJpuxI60

٦١- ألف الشيخ يوسف القرضاوى فى قصة ابن جبير وخروجه على الحجاج ومواجهة ظلمه ومبايعته لابن الأشعث مسرحية أسماها: عالم وطاغية.

٦٢- رأى الشيخ أبو اسحاق الحوينى فى الثورة متاح على الموقع التالى:
"http://www.youtube.com/watch v=APr-zXUUjfA" http://www.youtube.com/watch?v=APr-zXUUjfA

٦٣- الانصاف للشيخ وحيد بالى ما ادلتكم يا اصحاب ربيع ، متاح على الموقع التالى:"http://www.youtube.com/watch v=CX0a77p6Iow" http://www.youtube.com/watch v=CX0a77p6Iow

٦٤- رد الشيخ محمد عبد المقصود على المداخلة بشأن الخروج على الحاكم، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=gxZ8WR8aLHM

٦٥- هل ثورة ٢٥ يناير خروج على الحاكم ؟ الشيخ مصطفى العدوى، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=CPTMcNV0nQw

٦٦- صحة حديث وإن جلد ظهرك واخذ مالك للعلامة العدوى، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=D784sg8qJpM

٦٧- حديث الخضوع للحاكم الطاغية لا يصح ، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=i0yyHvMsrWw

٦٨- رأى الشيخ أبو اسحاق الحوينى فى الثورة، متاح على الموقع التالى:
"http://www.youtube.com/watch?v=SLcjhAVsoSM"http://www.youtube.com/watch v=SLcjhAVsoSM

- فيديو يكشف حقيقة موقف ابو اسحاق الحوينى من ثورة 25يناير، متاح على الموقع:
http://www.youtube.com/watch?v=POOk_p5HDcs

٦٩- رأى الشيخ محمد حسان الحقيقى فى مظاهرات 25يناير فى مصر، متاح على الموقع:
"http://www.youtube.com/watch?v=Lr-vGYc13QY"http://www.youtube.com/watch v=Lr-vGYc13QY

- موقف محمد حسان من مبارك قبل وبعد ثورة 25يناير، متاح على الموقع:
"http://www.youtube.com/watch?v=Jj9NloQ-mwU"http://www.youtube.com/watch v=Jj9NloQ-mwU

- رأى محمد حسان فى الخروج على الحاكم، متاح على الموقع:
http://www.youtube.com/watch?v=9EjfYWJ2fcE

٧٠- حكم المشاركة فى مظاهرات 25يناير ... محمد عبد المقصود، متاح على الموقع:
Http://www.youtube.com/watchv=ora4EyEQivU& next=1&list=PLD2F86817B08418C6&feature= results_video

- الشيخ محمد عبد المقصود ٢٥ يناير من الناحية الشرعية، متاح على الموقع:
http://www.youtube.com/watch v=g_4Fx5eYNQk -

٧١- الشيخ فوزى السعيد الإرجاء والطواغيت، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch?v=ljICveJXoz8 -

٧٢- من هو ولى الأمر الذى تجب طاعته؟ متاح على الموقع التالى:
"http://www.alathar.net/home/esound/index.php op=pdit&cntid= 1960"

٧٣- مداخلة د يونس مخيون رئيس حزب النور على قناة الحافظ، متاح على الموقع:
http://www.youtube.com/watch v=Jq7X5Ngmgkg

٧٤- مناظرة هل ثورة 25يناير جايزة شرعا؟ متاح على الموقع:
http://www.youtube.com/watch v=AQaOyEWDZbA

٧٥- رأى الشيخ محمد حسان الحقيقى فى مظاهرات 25يناير فى مصر، متاح على الموقع:
"http://www.youtube.com/watch-vGYc13QY"http://www.youtube.com/watch v=Lr-vGYc13QY

٧٦- يوسف القرضاوى وحقيقة تطيع الأمير وإن ضرب ظهرك، متاح على الموقع:
http://www.youtube.com/watch v=8JRjJpuxI60

٧٧- أسامة القوصى - حديث وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=gPOEv7VT3tc

٧٨- الشيخ محمد عبد المقصود 25يناير من الناحية الشرعية، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=g_4Fx5eYNQk

٧٩- هل ثورة مصر ٢٥ يناير خروج على الحكام؟ وهل من مات فيها شهيد ؟؟ لفضيلة الشيخ الفقيه مصطفى العدوى، متاح على الموقع التالى:
http://www.youtube.com/watch v=zjgFZY4JBjE

٨٠- فضفضة د محمد عبد المقصود ش ممدوح جابر حول الأحداث الجارية، متاح على الموقع التالى:
"http://www.youtube.com/watchv=nQXem17FWS0"http://www.youtube.com/watch v=nQXem17FWS0

٨١- المظاهرات و الاحزاب وحكمها الشيخ / على حشيش، متاح على الموقع التالي:

http://www.youtube.com/watch v=2CnVlLydfAM

٨٢- الخروج على الحاكم باللسان والكلمه - الشيخ على الوصيفى، متاح على الموقع:

http://www.youtube.com/watch v=UwsWck9J2hQ

٨٣- هشام البيلى رد البيلى على من خرج على إجماع الأمه وقال بشرعية الثورة، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=AJsPGV1frts

٨٤- المظاهرات و الاحزاب وحكمها الشيخ / على حشيش، متاح على الموقع التالى:

- http://www.youtube.com/watch v=2CnVlLydfAM

٨٥- أيهما أشد حسنى مبارك أم الوائق يا خوارج ؟ العلامة رسلان، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=YwKm7oj63GI

٨٦- رد البيلى على من خرج على إجماع الأمه وقال بشرعية الثوره، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watchv=AJsPGV1frts

٨٧- حديث وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك صحيح على شرط مسلم مقطع للشيخ محمود حسين عوض، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=qPtAceg8t6A

٨٨- هشام البيلى يرد على الشيخ حسان بشأن شرعية الثورة، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=gMTs-FRffl8

٨٩- راجع الخبر على موقع المصرى اليوم:

http://www.almasryalyoum.com/node/342155.

٩٠- أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى، سراج الملوك، ج 2ص : 467- 469 متاح على الموقع التالى:

"http://www.archive.org/download/serag_102/serag.pdf" \t

٩١- الشيخ عادل السيد-الإصلاح لا يبدأ من أعلى، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=9uuu0FXTNlI

٩٢- تحدى الشيخ رسلان لمحمد عبد المقصود بأن يباهله فى أى مكان وفى الوقت الذى يحدده على كذباته، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=2qHC7P1_L78

٩٣- سمعنا مؤخرا عن فرقة اسمها المداخلة ، فهل هذه الفرقة تخدمُ الإسلام ؟ متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watchv=K8AmLpS69Do

٩٤- قاموس شتائم وسباب محمد عبدالمقصود فى حق أهل السنة، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=7bpRwOiN8aU

٩٥- قناة تضليل الناس تطعن فى الإمام ربيع ود. طلعت زهران، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=rE9JfxAOqOA

٩٦- حازم شومان يزعم أن (المداخله) صنيع الـ CIA متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watch v=CYccpHDosT8

٩٧- شومان يكذب ويزعم أن (المداخله) صنيع الـ CIA متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watchv=CYccpHDosT8

٩٨- محمد كمال السيوطى الرد على من ضعف حديث حذيفة وإن أخذ مالك وجلد ظهرك، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watchv=_a6cUw4fCFY

٩٩- كشريات ثورة الخامس والعشرين من ينابر للشيخ هشام البيلى، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watchv=1rciIZlumtU

١٠٠- وجه التشابه بين الاحداث الجارية فى مصر وماحدث فى سقوط دولة فلسطين لفضيلة الشيخ عادل الشوربجى، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/
watchv=CBd2sfJIv7M&playnext=1&list=PL8D402CD6AA009FC4&feature= results_video

١٠١- من هم العملاء للنظام-الشيخ طلعت زهران، متاح على الموقع التالى:

http://www.youtube.com/watchv=elBm0CQPHcw

١٠٢- صلاح فضل، مرجع سابق، ص 104.

- حبيب أعراب، مرجع سابق، ص ص 133 – 77

١٠٣- محمد عمارة، فى فقه الاستبداد، جريدة الأهرام، متاح على الموقع التالى:

digital.ahram.org.eg/articles.aspxSerial=937239&eid=2156.

١٠٤- حسن السيد بسيونى، الدولة ونظام الحكم فى الإسلام (القاهرة: عالم الكتب، 1990م) ص ص 173-171.

١٠٥- محمد يوسف موسى، نظام الحكم فى الإسلام: الإمامة ورياسة الأمة وما يتعلق بها من بحوث (القاهرة: دار الفكر العربى، (1998ص 167.

١٠٦- محمد الغزالى، الإسلام والاستبداد السياسى، ط 6) القاهرة: نهضة مصر للنشر والتوزيع،2005م) ص 17.

١٠٧- عبدالرحمن الكواكبى، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط1 بيروت: دار النفائس ، 1984م)، ص.140

١٠٨- المرجع السابق، ص 126.

١٠٩- لمزيد من التفاصيل راجع:

- أحمد سالم أبو فهر، واقع المسلمين بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين: رؤية تأصيلية، ط) 1القاهرة: المركز العربى للدراسات الإنسانية، (2012.